موسوعة اللآلي من

شعر الحكمة

في العصر الجاهلي

تأليف

عبد القادر زينو



عبد القادر زينو
موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي
دار الكتب العلمية



موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي

تأليف:

عبد القادر زينو



الإهداء

إلى والديّ العزيزين، وإلى إخوتي الأكارم، وإلى محبّي هذه اللغة العظيمة، وإلى من لهم حقٌّ عليّ، أهدي هذا العمل.



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيّد ولد آدم، سيّدِ الأوّلين والآخرين، ورضي الله عن صحابته والتابعين، ورضي الله عنّا معهم، اللهم آمين. وبعدُ:

فقد قال الله تعالى:

[1] وروي عن رسوله الكريم صلَّى الله عليه وسلم: "الحكمةُ ضَالَّةُ المؤمن، أينَ وجدَها أخذَها"، والضّالّةُ هي الشيءُ المفقود، فكما أنَّ الذي فقد شيئًا ثمينًا فإنّه يبحث عنه ولا يهنأ له بالٌ حتى يجده، فكذلك المؤمن يحرصُ على نيل الحكمة وطلبها وعلى النَّهل من مَعينِها، وقال الرّسول صلَّى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكَمًا" وقال ابن الأثير مفسِّرًا هذا الحديث: أي إنَّ من الشِّعر كلامًا نافعًا يمنع من الجَهْل والسَّفَه.

بناءً على هذا بدأت بكتابة هذا البحث وهو جمعُ كلّ الأشعار التي تتعلّق بشعر الحكمة في الجاهليّة واستغرقت هذه الموسوعة ثلاث سنوات تقريبًا. أما عن المنهج في اختيار وانتقاء الأبيات التي تحتوي على حكمة فهو اختيار الأبيات التي تحوي (مَن) الشرطية، فهي تفيد الحِكَمَ والأحكامَ العامة، فمن يدرسْ ينجحْ، وأيضًا الأبيات التي تحتوي على الكلمات التالية: ككلمة (امرؤ) وككلمة (فتى) وككلمة (الدّهر)، والوصايا التي تكون عادةً من المعمَّرين، وأبيات الحكمة

---

(١) سورة الجمعة، الآية:٢

هي التي تكون مَصوغة على الطَّريقة الخبرية، أي تحتمل الصدق والكذب، والأبيات التي تنبئ عن تجرِبةٍ حياتيّةٍ والتي تتضمّن الكلمات: (أرى) أو (أظنُّ) علمًا أنَّ هذه مؤشرات لاستخراج أبيات الحكمة، ولا تُغني عن قراءة دواوين الشعراء كاملةً، فبعد هذه القراءة الشاملة للشعر في العصر الجاهليّ، كانت هذه الموسوعة، فما كان من توفيقٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ أو سهوٍ أو نقصٍ أو نسيانٍ فمن نفسي ومن الشّيطان، هذا وأرجو من الله للأُمّة المسلمة النفعَ، ولي التَّوفيق والسداد.

الخيل معقودٌ في نواصيها الخير

يقول امرؤ القيس من البسيط:

والخيرُ ما طلعتْ شمسٌ وما غربتْ مُطلّبٌ بنواصِي الخيل معصوبُ[1]

وهذا البيت محذوفٌ من الدّيوان الذي حقّقه الأستاذ مصطفى عبد الشافي[2] وقد وردَ بهذه الصيغة في كتاب الأشباه والنظائر:

والخيرُ ما طلعتْ شمسٌ وما غربتْ مُعلّقٌ بنواصِي الخيل معصوبُ[3]

وقد يسأل سائلٌ: فكيف ندفع شُبهة وجود حديث عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: "الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْخَيْرُ؟ قَالَ: الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ"[4] والإجابة أنّ هذا البيت ليس لامرئ القيس إنما يقال أنّه لإبراهيم بن بشير الأنصاريّ[5].

فالمقصود بالخيل هنا آلةُ الجهاد، وهذه الآلات تطورت الآن فهي داخلةٌ في (ما) الموصولة في قوله تعالى:

---

(١) ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ص٢٢٥.

(٢) ديوان امرئ القيس، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م، ص٤٦.

(٣) كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدّمين والجاهليّة والمخضرمين للخالديّين، تح: د. السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م، ج٢ ص١٧٧.

(٤) مسند أبي داود الطيالسيّ، تح: د. محمد عبد المحسن تركي، مركز البحوث والدارسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى، ج:٢، ص٣٨٥.

(٥) ديوان امرئ القيس، ص٢٢٥.

أي أعدّوا كلَّ ما استطعتم، وأمّا عِلّة الخيريّة في[1] الخيل فهي تعلُّقُ الأجر على الجهاد بها في الآخرة، والحصول على الغنائم بها في الدُّنيا.

* * *

الحرب

إنَّ الحربَ لأجل الحربِ، أو الحرب من أجل الرياء والمفاخرة والسُّمعة، أو لأجل الأسلاب والغنائم والسّطو على أموال الآخرين وثرواتهم هي حربٌ عبثيّةٌ عميّةٌ جاهليّةٌ بلا مبادئ، أمّا الحربُ من أجل إعلاء كلمةِ الله فهي الجهادُ المقدّس، "فعَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، وَيُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَيُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[2].

قال عمرو بن معدي كرب ذامًّا الحرب من الكامل:

الحربُ أوّلُ ما تكونُ فُتيّةً تسعى بزينتِها لكلِّ جَهولِ

حتى إذا استَعَرت وشَبَّ ضِرامُها عادت عجوزًا غيرَ ذاتِ خليلِ

شمطاءَ جَزَّت رأسَها وتَنَكَّرَت مكروهةً للشَّمِّ والتَّقبيلِ[3]

فالحربُ أوّلُ ما تبدو، تبدو كفتاةٍ حسنةٍ متزيّنةٍ لا تمنع أحدًا ودَّها ونفسَها، فهي كالنّار العظيمة التي تندلع من مستصغر الشّرر، حين ذاك لا يمكن السيطرةُ عليها وهذا من جميل التشبيه، فهي تبدو كفتاةٍ لكنَّها ما تلبث أن تتحوّل إلى امرأةٍ عجوزٍ شمطاءَ، حليقة الرأس، يكره الرجالُ مسّها وشمّها وتقبيلها.

---

(١) الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) مسند أبي داود الطيالسيّ، ج:١، ص٣٩٣.

(٣) شعر عمرو بن معدي كرب الزُّبيديّ، جمع: مطاع الطرابيشيّ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص١٥٤ – ١٥٥.

وفي ذمّ الحرب يقول ذؤيب بن كعب من الكامل:

جانيكَ مَن يَجني عَلَيكَ وَقَد ... تُعدي الصِّحاحَ مَبارِكُ الجُربِ

وَلَرُبَّ مَأخوذٍ بِذَنبِ عَشيرَةٍ ... وَنَجا المُقارِفُ صاحِبُ الذَّنْبِ[1]

وَالحَربُ قَد تَضطَرُّ جانِيَها ... إِلى المَضيقِ وَدونَهُ الرَّحْبِ[2]

يقول الشاعر أنّ الجاني الذي تطلبُ وِترَكَ وثأرك منه هو فقط من يجب عليك طلبُه، ولكن هذه القاعدة غيرُ معمولٍ بها في الجاهليّة، فعادةً ما يتعدى الطلبُ إلى العشيرةِ كلّها كما تنتقل عدوى الجربِ من الإبل الجرباء إلى الإبل الصحيحة، وكذلك قد يُقتَل الإنسان البريء ضحيةَ الحرب المعلنةِ على القبيلة بأسرها، وقد ينجو أيضًا بسبب هذا الذي اقترف الذنبَ، فالحرب كما يقول الشاعر في البيت الأخير، عادةً ما تسير بغير ما تشتهي سفنُ الذي أضرمها، فالنّاسُ في فسحةٍ ما لم يبدؤوا الحرب، فإنْ شبّت تكن كالنّار يصعب إطفاؤها. ويقول زُهير بن أبي سُلمى من الطويل:

وَما الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُم وَذُقتُمُ ... وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ

مَتى تَبعَثوها، تَبعَثوها ذَميمَةً ... وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضرَمِ

فَتَعرُكُّمُ عَركَ الرَحى بِثِفالِها ... وَتَلقَح كِشافًا ثُمَّ تَحمِل فَتُتئِمِ

فَتُنتَج لَكُم غِلمانَ أَشأَمَ كُلُّهُم ... كَأَحمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِع فَتَفطِمِ

فَتُغلِل لَكُم ما لا تُغِلُّ لِأَهلِها ... قُرىً بِالعِراقِ مِن قَفيزٍ وَدِرهَمِ[3]

يقول إنّ الحرب ما هي إلا ما جرّبتم وذقتم من لظاها، وإنَّ الحديث عنها ليس تخرّصاتٍ أو ظنون، والمرجَّم: المظنون، فقد قال تعالى عن عدد فتية أصحاب

---

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربّه الأندلسيّ، تح: مفيد محمد قميحة، ج:١، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ص٣٠.

(٢) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكريّ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، ج:١، دار الفكر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ص٣٠٧.

(٣) ديوان زهير بن أبي سُلمى، شرح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص١٠٧ - ١٠٨.

الكهف [(١)] فهل للنّاس من علمهم بعدد أصحاب الكهف إلا الظنّ؟!
أمّا هذه الحرب فقد ذاقها العربَ علمَ اليقين.

وفي البيت الثّاني نجد تشبيه الحرب بالنّار للمرّة الثّالثة في الشِّعر الجاهليّ، فالحرب الأهوائيّة كلُّها قبيحةٌ ومذمومةٌ ولا خيرَ فيها إذا أُضرمت وتأجَّجت، يقول في البيت الرّابع فتطحنكم كطحن الرَّحى للقمح، والثِّفَال هي الخِرقة التي توضع تحت الرّحى لتتلقّف الطحين، فتُلقَّح الحربُ ثم تحمل لكم كالشاة مرتين في السَّنَة ثم تلد توأمًا، ثم يقول في البيت الخامس فتولد لكم غلمانَ شؤمٍ كلهم لأنهم وُلدوا في الحرب ورضعوا فيها وفُطموا، ثم تأتيكم بالغِلال الوافرة كغِلال العراق وضرب بها المثل لوفرتها، وأراد زُهيرُ بهذه التّشبيهات أنّ الحرب تبدأ تافهةً صغيرةً حقيرةً ثمّ تكبر حتّى يتّسع الفتق على الراقع. أما أوس بن حَجَر فكان له رأيٌ آخرُ عن الحرب فقال من الطويل:

إِذا الحَربُ حَلَّت ساحَةَ القَومِ أَخرَجَت ... عُيوبَ رِجالٍ يُعجِبونَكَ في الأَمنِ

وَلِلحَربِ أَقوامٌ يُحامونَ دونَها ... وَكَم قَد تَرى مِن ذي رُواءٍ وَلا يُغني [(٢)]

فهو يرى أن الحرب تُظهر الأخلاقَ الحقيقيَّةَ للرّجال، قال الحسن البصريّ: "كانوا يتساوون في وقت النّعم فإذا نزل البلاء تباينوا" [(٣)] فللحرب رجالُها الذين يذودون عن حياضِ أمتهم وبيضتها، فكم نرى ممن يعجبنا منظره ويخيّبنا مخبرُه، قال تعالى في المنافقين:

. [(٤)]

---

(١) الكهف، الآية: ٢٢.

(٢) ديوان أوس بن حَجَر، تح: د. محمد يوسف نجم، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٣٠.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزيّ، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص١٤١.

(٤) المنافقون، الآية: ٤.

وفي هذا المعنى تقول العوراء اليربوعيّة من الوافر:

أَفَخْرًا في الخَلاءِ بغيرِ فخرٍ ... وَعندَ الحربِ خوّارًا ضَجورا؟![١]

فتستنكر على المخاطَب المفاخرةَ في أيّام السِّلم، والضّعفَ والخورَ وكثرة الضّجر والتّبرّم في أيّام الحرب.

* * *

الذي نستطيع

ونخرج من جوّ الحرب إلى حكمةٍ جديدةٍ في قول عمرو بن معدي كرب من الوافر:

إذا لم تستطع شيئًا فَدَعهُ ... وَجاوِزهُ إِلى ما تستطيعُ

وَصِلهُ بالزِّماعِ فكلُّ أَمرٍ ... سَمَا لَكَ أَو سَمَوتَ له وَلُوعُ[٢]

فما كلُّ ما نرومه ونطلبه نستطيع الحصولَ عليه، فلا بدُّ من تجاوز بعض الأشياء التي من المُحال حصولنا عليها، أما ما نستطيعُه فيجب علينا أنْ نُزمعَ أمرنَا ونقرِّرَ لأنَّ لكلّ فرصةٍ زمنًا مناسبًا ومواتيًا لا يتكرّر قال أبو جعفر المنصور من الطّويل:

إذا كنتَ ذا رأْيٍ فكُنْ ذا عَزِيمَةٍ ... فإنَّ فَسادَ الرَّأْيِ أنْ تَتَردَّدا

ولا تُمْهِلِ الأَعْداءَ يَوْمًا لِقُدْرَةٍ ... وبادِرْهُمُ أنْ يَمْلِكُوا مِثْلَها غَدا[٣]

* * *

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٣٤م، ص٧١.

(٢) شعر عمرو بن معدي كرب الزُّبيدي، جمع: مطاع الطرابيشيّ، ص١٤٥.

(٣) زهر الآداب، الحصريّ القيروانيّ، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م، ج:١، ص٢١٣.

الصَّمت

وفي فضيلة الصَّمت يقول امرؤ القيس من الطويل:

إذا المرءُ لم يخزنْ عليهِ لسانَهُ ... فليسَ على شيءٍ سِواه بخزّانِ[١]

فالكلمة مُلكك ما لم تنطق بها فإذا نطقتَ بها ملكَتْكَ، وقال تعالى:

[٢] وقال الرّسول صلَّى الله عليه وسلم: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"[٣] فإنَّ الّذي لا يمسك عليه لسانَه يقع في الكثير من الأخطاء، والّذي لا يمسك عليه لسانَه وهو أمرٌ صغير، فهو لغير ذلك من الأمور العظيمة أضيع.

* * *

الموت

أمَّا عن الموت فيقول بشر بن أبي خازم من المنسرح:

وَكُلُّ نَفسِ اِمرِئٍ وَإِن سَلِمَت ... يَومًا سَتَحسو لِميْتَةٍ جُرَعا[٤]

فمهما طال العمر فلا بدَّ من نزول القبر، ومهما سلم الإنسان من الموت لا بدّ له أن يأتي يومٌ ويتجرّعه.

* * *

الصَّبر

وفي التّجمّل والصّبر يقول بشر بن أبي خازم من المنسرح:

---

(١) ديوان امرئ القيس، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، ص١٦٣.

(٢) ق، آية: ١٨.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص١٥٠٩.

(٤) ديوان بشر بن أبي خازم، شرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص٩٤.

أَيَّتُهَــا الــنَّفسُ اِجْمِلــي جَزَعــا   إِنَّ الَّــذي تَحــذَرينَ قَــد وَقَعــا[(١)]

إنّ المرءَ إذا وقع ما يخشاه تحرّر من ضغوط الخشيةِ والفقدان وعندئذ يستطيع أنْ يخطّطَ ويبدأَ من جديدٍ.

* * *

الماضي

ويقول بشر بن أبي خازم من الوافر:

أَلَـيسَ طِـلابُ مـا قَـد فـاتَ جَهـلًا   وَذِكــرُ المَــرءِ مــا لا يَــستَطيعُ[(٢)]

فطَلَبُ الأشياء التي مضت والتحسّر عليها هو نوع من الجهالة، وكذلك تذكّرُ الأمورِ التي ليس بوسع الإنسان تحقيقها، وفي هذا المعنى يقول النّابغة الذبيانيّ:

واليـأس عمّـا فـات يُعقِـبُ راحـةً   ولــرُبَّ مَطْعمــةٍ تعــودُ ذُبَاحَــا[(٣)]

فاليأس عن الأمور الفائتة يورثُ راحةً عظيمةً والتنكير في كلمةِ (راحة) هنا للعموم، فكما أنَّ الطَّعام الذي تأكله قد يحتوي على السُّمِّ، فكذلك لا تطلب الأشياء التي فاتتك فلربَّما كان الشَّرُّ فيها.

* * *

الرفق

وقال بشر بن أبي خازم من الكامل:

وَاِســتَبقِ وِدَّكَ لِلــصَّديقِ وَلا تَكُــن   قَتَبًــا يَعَــضُّ بِغــارِبٍ مِلحَاحَــا

فَــالرُفقُ يُمــنٌ وَالأَنــاةُ سَــعادَةٌ   فَتَــأَنَّ فــي رِفــقٍ تَنــالُ نَجَاحَــا[(٤)]

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم، شرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م ، ص٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٧.

(٣) ديوان النّابغة الذبيانيّ، شرح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م، ص٧٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٧٧.

أي حافظ على ودّ صاحبك وصداقته، ولا تكن كالرحل الذي يلصق بسنام البعير بإلحاح.

فالرفق بركةٌ، وقال الرسول صلَّى الله عليه وسلم: "لا يكون الخُرق في شيءٍ إلا شانه، وإنَّ الله رفيق يحبّ الرّفق"[١] والأناةُ محمودةُ العاقبة وهي طريق النّجاح والفلاح، أمّا العجَلة فهي من طبع الإنسان، قال تعالى: [٢]
لكنَّ العجلةَ محمودةٌ إذا كانت في أمر الآخرة، قال تعالى على لسان موسى عليه السَّلام: [٣] لذلك قال الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم: "التُّؤدة في كلِّ شيء خيرٌ إلَّا في عمل الآخرة"[٤].

* * *

العُسر واليُسر

أمَّا عن العسر بعد اليسر فيقول امرؤ القيس من الطّويل:

أَلا إِنَّ بَعدَ العُدمِ لِلمَرءِ قِنوَةً وَبَعدَ المَشيبِ طولُ عُمرٍ وَمَلبَسا[٥]

فالشَّاعر هنا يحثّ النّاس على التَّفاؤل، فيقول أنَّه سيأتي بعد الفقر الغِنى، وبعد الشّيبِ طولُ العمر والاستمتاع به.

* * *

التوكّل والأجل

ويظهر النّابغة الذبيانيّ متوكّلًا على الله إلى درجة التّواكل فيقول من الوافر:

(١) الأدب المفرد، البخاريّ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفيّة، القاهرة، ١٣٧٥هـ ص١٢٣.
(٢) الإسراء، الآية: ١١.
(٣) طه، الآية: ٨٤.
(٤) صحيح التّرغيب والتّرهيب، ناصر الدّين الألبانيّ، مكتبة المعارف، الرّياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٣١١.
(٥) ديوان امرئ القيس، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الخامسة، ص٨٧.

وَلَستُ بِذاخِرٍ لِغَدٍ طَعامًا   حِذارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعامُ[١]
تَمَخَّضَتِ المَنونُ لَهُ بِيَومٍ   أَتى[٢] وَلِكُلِّ حامِلَةٍ تَمامُ[٣]

فهو لا يخزّن الطَّعامَ من أجل الغد أو خوفًا من الغد، فلكل غدٍ طعامٌ ورزق، وفي المثل قيل: يأتي كلُّ مولود ورزقُه معه.

ثم شبّه الشَّاعر الموتَ بالمرأة الحامل التي وَلَدَت حين حان أوان ولادتها، فكما أنَّ لكل حاملةٍ موعدٌ ستلد فيه وليدَها، فكذلك أجلُ الإنسان إذا جاء لا يؤخّر، وفي ذلك قال الشّاعر الإسلاميّ كعب بن زهير:

كُلُّ اِبنِ أَنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ   يَومًا عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ[٤]

فكل إنسانٍ سيأتي عليه يومٌ ويموت فيه ويُحمَل على النّعش، فاللهم نسألك حسن الختام.

* * *

الجزاء عند الله

ويقول النَّابغة من الوافر:

ولكن لا تُخانُ الدَّهر عندي   وعندَ الله تجزيةُ الرِّجالِ[٥]

يقول النّابغة أنّه لن يخون النّعمانَ أبدَ الدهر، والله وحده هو من سيجازيه على عطاياه الجزيلة، فما رُزق عبدٌ أفضلَ من الإخلاص إذ رجا ثوابَه من الله وحده.

* * *

المعروف والمنكر

وقال النَّابغة من الطّويل:

---

(١) ديوان النّابغة الذبيانيّ، ص١٣٢.
(٢) مكتوبة (أنى) أي حان، في عدد من الكتب الأدبيّة كالتذكرة الحمدونيّة، ومجاز القرآن.
(٣) ديوان النّابغة الذبيانيّ، ص١٣٢.
(٤) ديوان كعب بن زهير، تح: علي فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٧م، ص٦٥.
(٥) ديوان النّابغة الذبيانيّ، ص٦١.

أَبـــى اللّهُ إِلّا عَدلَـــهُ وَوَفـــاءهُ فَلا النُّكرُ مَعروفٌ وَلا العُرفُ ضائِعُ[١]

وهنا تناصٌ مع الآية الكريمة قال تعالى:

[٢] فالله يأبى إلا أنْ يحقِّقَ عدلَه وينجزَ وعودَه، ولا يُمكن في تصوّر النّاس أنْ يصبحَ المنكرُ معروفًا ولا المعروفُ أنْ يجحدَ، لذلك قال الحُطيئة من البسيط:

مَــن يَفعَــلِ الخَيــرَ لا يَعــدَم جَوازِيَــهُ لا يَـذهَبُ العُـرفُ بَـينَ اللهِ وَالنّـاسِ[٣]

* * *

رُبَّ امرئٍ يسعى لآخرَ قاعدِ

وقال النَّابغة من الطَّويل:

أتـــى أهلَـــه منـــه حِبـــاءٌ ونعمـــةٌ ورُبَّ امـــرئٍ يـــسعى لآخـــرَ قاعـــدِ[٤]

مات فتىً عبسيٌّ عند النّعمان بن المنذر فأرسل المنذرُ إلى أهل الفتى بالأموال والعطايا، فقال النَّابغة هذا البيت، وهذا قريب من بيت ينسب للمعري يقول:

والنّــاسُ للنّــاسِ مِــن بــدوٍ وحاضــرةٍ بعـضٌ لـبعضٍ وإنْ لـم يـشعروا خَـدَمُ

* * *

لا ملجأ من الله إلا إليه

وقال النَّابغة الذبيانيّ من الطَّويل:

حلفـــتُ فلـــم أتـــركْ لنفْـسِكَ ريبـــةً ولـــيسَ وراءَ الله للمـــرءِ مـــذهبُ[٥]

---

(١) ديوان النّابغة الذبيانيّ، ص٥٧.

(٢) التّوبة، الآية: ٣٢.

(٣) ديوان الحُطيئة، شرح: ابن السّكّيت، دراسة: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص١٢٠.

(٤) الفاخر في الأمثال، المفضّل بن سلمة، تح: محمد عثمان، الدار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص١٨٦.

(٥) ديوان النّابغة الذبيانيّ، ص٢٧.

وهذا من رقيقِ اعتذاريّات النّابغة، يقول أنّه حلف بالله ولا شيءَ أعظم عنده من الله، ولا مفرّ منه ولا ملجأ إلّا إليه، قال تعالى:

.[١]

* * *

الجهالة والسِّباب

وقال النَّابغة الذبيانيّ من الوافر:

فإنْ يكُ عامرٌ قد قال جهلًا   فإنّ مطيةَ الجَهْلِ السِّبابُ

ويروى:

فإنْ يكُ عامرٌ قد قال جهلًا   فإنّ مَظِنّةَ الجَهْلِ الشَّبابُ[٢]

أمّا الرواية الأولى فمعناها أنّه إن قال عامرٌ قولًا فيه جهالةٌ وسفهٌ وطيشٌ وحمقٌ فإن الوسيلة لقول الجهالة هي السِّباب والشَّتائم أو إنَّ الجهالةَ عادةً ما ترتبط بمرحلة الشَّباب كما في الرواية الأُخرى.

* * *

الغيظ والغضب

وقال الرَّبيع بن ضَبُع الفزاريّ من الكامل:

دارِ الصَّديقَ إذا استَشاطَ تَغَيُّظًا   وَالغَيظُ يُخرِجُ كامِنَ الأَحقادِ

وَلَرُبَّما كانَ التَّعَصُّبُ باحِثًا   لِمَثالِبِ الآباءِ وَالأَجدادِ[٣]

---

(١) التّوبة، الآية: ١١٨.

(٢) ديوان النّابغة الذبيانيّ، ص٨٣.

(٣) الدرّ الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر المستعصمي، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ج٦، ص٢٠٤.

فالمداراةُ من أعظمِ الأخلاق، وهي ضروريَّةٌ لحفظ الصداقة، فإذا غضبَ صديقُك غيظًا وحُنقًا فداره وامتص غضبَه، فإنَّ الغضب - إذا لم تكظمه - أخرجَ ما هو مخبوءٌ من الأخلاق الذَّميمة والأحقاد. وعادةً ما يبحث الغاضب عن العيوبِ في خصمه وفي أجداد وآباءِ خصمه ليذيعها ويشيعها.

* * *

الدُّنيا والنَّفْس

وقال الرَّبيع بن ضَبُع الفزاريّ من الطويل:

لَقَد عَزَفت نَفسِي عَنِ اللهوِ جَمَّةً وَإِن نَهلتْ مِن لَهوِها ثُم عَلَّتِ

رأَيتُ قُرونًا بَعدَ قَرن تَقَدَّمت فَلَم يَبقَ إِلا ذِكرُها حينَ وَلَّتِ

أَلا أَينَ ذو القَرنَين أَينَ جُموعُه لَقَد كَثُرَت أَسبابُهُ ثُمَّ قَلَّتِ

خَرِفتُ وَأَفنَتني السُّنون التي خَلتْ فَقَد سَئِمَتْ نَفسِي الحَياةَ وَمَلَّتِ

وَكانَتْ عَلَى الأَيَّامِ نَفسِي عَزيزَةً فَلَما رَأَت عَزمِي عَلَى الأَمرِ ذَلَّتِ

هِيَ النَّفسُ ما منّيْتَهَا تاقَ شَوقُها وَإِلا فَنَفسٌ أويسَتْ فَتَسلَّتِ[1]

البيت الأوّل: إنَّ الإنسانَ عندما يشيخ يملُّ من مُتَع الدّنيا، ويُعرِض عن معظم اللّهو والمُتع، وإن كانت النَّفسُ قد أسرفت على نفسها في الشَّباب مرارًا وتكرارًا فالنّهل هو الشُّربُ الأوّل، والعلُّ هو الشُّربُ الثاني.

البيت الثّاني: إنَّ السنين تمرُّ مرَّ السحاب، قرنًا بعد قرنٍ، ولم يبقَ منها إلا ذكرها وتذكُّرها بعد أن أَصبحت جُزءًا من الماضي.

---

(١) التيجان في ملوك حِميَر، تح: مركز الدراسات للأبحاث اليمنية، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، ص١٣٠.

البيت الثّالث: إنَّ مرور الزَّمن يؤثّر فينا لذلك قال تعالى:

[١] فأين الملك العظيم ذو القرنين، وأين حاشيتُه وملأُهُ، لقد انهدمت أُسس أبنيته بعدما أن كانت عاليةً سامقةً.

البيت الرّابع: إنّ مرَّ السنين أضعفَ عقلَ الشاعر وجسدَه وأنهكهما، وقد سئم من الحياة مثلَ زهيرَ بن أبي سُلمى، وهو في انتظار الموت.

البيت الخامس: إنَّ الإنسان عندما يكون في شبابه تكون نفسه عصيّةً على الانقياد، وعندما تقترب من الموت تلين وتضعف.

البيت السّادس: فالنّفْس كالحيوان ما إن ترخي لها الحبل على غاربه حتى تجمحَ وتشتدَّ شهوتُها، وعندما تُيئسها وتربّيها فإنّها تيأس وتنسى.

ويدور الشّاعر حول هذا المعنى من ضعف الإنسان عند الشّيخوخة واشتداد برده عند الشّتاء فيقول من الوافر:

إذا كانَ الشِّتاءُ فأَدفِئوني ... فَإِنَّ الشَّيخَ يَهدِمُهُ الشِّتاءُ

وَأَمَّا حينَ يَذهَبُ كُلُّ قَرٍّ ... فَسِربالٌ خَفيفٌ أَو رِداءُ

إِذا عاشَ الفَتى مائتَينِ عامًا ... فَقَد ذَهَبَ اللَذاذَةُ وَالفَتاءُ[٢]

* * *

الخير المتوارَث

ويقول زهير بن أبي سلمى من الطّويل:

فَما يَكُ مِن خَيرٍ أَتَوهُ فَإِنَّما ... تَوارَثَهُ آباءُ آبائِهِم قَبْلُ

وَهَل يُنبِتُ الخطِّيَّ إِلّا وَشيجُهُ ... وَتُغرَسُ إِلّا في مَنابِتِها النَّخْلُ[٣]

(١) الرحمن، آية: ٢٦ - ٢٧.

(٢) شرح أدب الكاتب، الجواليقيّ، تح: د. طيبة حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٥م، ص٢١٧ - ٢١٨.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٨٧.

يقول إنَّ الخيّرين لا تصدر عنهم إلا الأفعال الخيّرة، والخيّرون لا ينجبوا إلا الخيّرين، فالخير عندهم موروثٌ، وفي هذا نظرٌ، لأنّه ليس دائمًا يكونُ أبناءُ الأفاضلِ أفاضلًا، وهذا رسول الله نوحٌ عليه السلام قد وُلدَ له ابنٌ كافرٌ وعاتبه الله فيه لسؤاله إيَّاه فقال:

[1] ويقول أنَّه لا يُنبت خشبَ الرِّماح إلا الأخشاب المخصصة لهذا الغرض، ولا تغرسُ النَّخل إلا في منابتها الصالحة لها ولنموّها وإثمارها.

* * *

أخلاق زهيريّة

ويقول زهير بن أبي سلمى من الطّويل أيضًا:

وَمَن لا يُقَدِّم رِجلَهُ مُطمَئِنَّةً ... فَيُثبِتَها في مُستَوى الأَرضِ تَزلَقِ
وَفي الحِلْمِ إِدهانٌ وَفي العَفوِ دُربَةٌ ... وَفي الصِّدقِ مَنجاةٌ مِنَ الشَّرِّ فَاصدُقِ
وَمَن يَلتَمِس حُسنَ الثَّناءِ بِمالِهِ ... يَصُن عِرضَهُ مِن كُلِّ شَنعاءَ موبِقِ
وَمَن لا يَصُن قَبلَ النَّوافِذِ عِرضَهُ ... فَيُحرِزَهُ يُعرَر بِهِ وَيُخَرَّقِ[2]

يقول في البيت الأوّل إنَّ من لا يمشي على الأرض بهدوءٍ واطمئنانٍ وتثبّتٍ حريٌّ به أن تزلق رجلهُ، وكذلك يسبّب الإخفاقَ عدمُ التُّؤدةِ في الأمور. ويقول في البيت الثّاني، إنَّ في الحِلم على بعضِ النّاس لينٌ وتنازلٌ لمن لا ينبغي اللين معه، قال تعالى: [3]، وإنَّ العفو عن المخطئين يحتاج دُربَةً ومِرانًا، وحُكيَ أنَّ جاريةً كانت تَصبُّ الماء لعلي بن الحسين، فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجَّه، أي: جرحه، فرفع رأسه إليها، فقالت له:

(١) هود، الآية: ٤٦.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٧١ – ٧٢.

(٣) القلم، آية: ٩.

إنَّ الله يقول: فقال لها: قد كظمت غيظي. قالت: "

" قال لها: قد عفوت عنك. قالت: [١]، قال:

اذهبي فأنت حرَّة لوجه الله".

وفي البيت الثّالث يقول: إنَّ من يريد ثناءَ النّاس عليه، يشتري عِرضَه بماله فيصونُه عن كل المخازي والقبائح والهِجاء المُذلِّ، ويروى أنَّ الفاروقَ عمرَ بن الخطَّاب اشترى من الحطيئة أعراضَ المسلمين بثلاثة آلاف درهم[٢].

أما البيت الأخير فيقول فيه: إنّ من لا يصن عِرضَه عن الهجاء ويجعله في حرزٍ حصين، فإنّه يصيبه العَرّ وهو الجَرَب، ويمزّق جلده، وشبَّه الهجاء بالجرب لشدة تأثيره في المهجوّ.

* * *

حسن السيرة

وقال زهير بن أبي سلمى يمدح هَرِمَ بن سنان من الطّويل:

فَلَو كانَ حَمدٌ يُخلِدُ الناسَ لَم تَمُت وَلَكِنَّ حَمدَ النَّاسِ لَيسَ بِمُخلِدِ

تَزَوَّد إِلى يَومِ المَماتِ فَإِنَّهُ - وَلَو كَرِهَتهُ النَّفسُ - آخِرُ مَوعِدِ[٣]

يقول له: فلو كان ثناءُ النّاس بمخلّدٍ لخَلدتَ وذلك لشدّة حسن سيرتك، ولكنَّ ثناء النَّاس ليس بمخلّدٍ، ثم يقول له: خذ زادك وتجهّز إلى يوم الممات فإنّه آتٍ - لا ريب فيه - ولو كرهته النفس.

* * *

(١) آل عمران: الآية: ١٣٤.

(٢) تاريخ الأدب العربيّ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ج:٢، ص٩٧.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٤١.

أثر الخُطوب

وقال زهير بن أبي سلمى من الوافر:

لَعَمــــرُكَ وَالخُطـــوبُ مُغَيِّــــراتٌ وَفـــي طـــولِ المُعاشَـــرَةِ التَّقـــالي[1]

يحلف بِعُمْرِ المخاطَب زيادةً في التَّوكيد، فالحوادث العظيمة والمصائب الجَسيمة تغيِّر أخلاق الرِّجال، وفي طولِ المُعاشرة المَللُ والإعراضُ والقطيعةُ والبغض، قال تعالى: [2] أي ما أبغضكَ.

* * *

حِكَم زُهيريّة

وقال زهير بن أبي سلمى من الطويل:

فَــلا تَكــتُمُنَّ اللَّهَ مــا فــي نُفوسِــكُم لِيَخفــى وَمَهمــا يُكــتَمِ اللَّهُ يَعلَــمِ

يُــؤَخَّر فَيوضَــع فــي كِتــابٍ فَيُــدَّخَر لِيَــومِ الحِــسابِ أَو يُعَجَّــل فَيُــنقَمِ[3]

يقول فلا تُضمروا الغدرَ وأنتم تدعون إلى السّلم، فمهما حاولتم إخفاء نواياكم فالله يعلم خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور، فإذا أضمرتم الغدر فإنَّ الله قد يؤخّر عقابكم إلى يوم القيامة أو يعجّل فينتقم منكم في الدُّنيا.

ثمّ يتابع في نفس القصيدة:

١- سَئِمتُ تَكاليفَ الحَياةِ وَمَن يَعِشْ ثَمــانينَ حَــولًا لا أَبــا لَــكَ يَــسأَمِ

٢- وَأَعلَـمُ عِلـمَ اليَـومِ وَالأَمـسِ قَبلَـهُ وَلَكِنَّني عَـن عِلـمِ مـا فـي غَـدٍ عَمـي

٣- وَمَـن لَـم يُـصانِع فـي أُمـورٍ كَثيـرَةٍ يُــضَرَّس بِأَنيــابٍ وَيوطَــأ بِمَنــسِمِ

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٩٥.

(٢) الضحى، آية: ٣.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١٠٧.

٤- وَمَن يَكُ ذا فَضلٍ فَيَبخَل بِفَضلِهِ عَلى قَومِهِ يُستَغنَ عَنهُ وَيُذمَمِ
٥- وَمَن يَجعَلِ المَعروفَ مِن دونِ عِرضِهِ يَفِرهُ وَمَن لا يَتَّقِ الشَّتمَ يُشتَمِ
٦- وَمَن لا يَذُد عَن حَوضِهِ بِسِلاحِهِ يُهَدَّم وَمَن لا يَظلِمِ النّاسَ يُظلَمِ
٧- وَمَن هابَ أَسبابَ المَنِيَّةِ يَنلْنَهُ وَلَو رامَ أَسبابَ السَّماءِ بِسُلَّمِ
٨- وَمَن يَعصِ أَطرافَ الزِّجاجِ فَإِنَّهُ يُطيعُ العَوالي رُكِّبَت كُلَّ لَهذَمِ
٩- وَمَن يوفِ لا يُذمَم وَمَن يُفضِ قَلبُهُ إِلى مُطمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمجَمِ
١٠- وَمَن يَغتَرِب يَحسِب عَدُوًّا صَديقَهُ وَمَن لا يُكَرِّم نَفسَهُ لا يُكَرَّمِ
١١- وَمَهما تَكُنْ عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَةٍ - وَإِن خالَها تَخفى - عَلى النّاسِ تُعلَمِ
١٢- وكائنٍ ترى من صامتٍ لك معجبٍ زيادتُه أو نقصُه في التّكلمِ
١٣- وَمَن لا يَزَل يَستَرحِلُ الناسَ نَفسَهُ وَلا يُعفِها يَومًا مِنَ الذلِّ يُسأَمِ
١٤- ومن يجعلِ المعروفَ في غيرِ أهلهِ يكنْ حمدُه ذمًا عليهِ وينْدمِ[1]
١٥- لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه فلم يبقَ إلا صورةُ اللحمِ والدمِ
١٦- وإنَّ سفاهَ الشَّيخِ لا حلمَ بعدَهُ وإنَّ الفتى بعد السَّفاهةِ يحلُمِ
١٧- سألنا فأعطيتم وعدنا وعدتم ومن أكثر التّسآل يومًا يُحرمِ[2]

يقول زهيرُ في البيت الأوّل: إنَّه سئم وملّ من مشاقِّ الحياة التي صعُبت عليه، ومن يعش ثمانين سنةً فإنَّه يملّ ويسأم لا محالة.

يقول في البيت الثّاني: إنّه يعلم ما في الحاضر وما في الماضي، ولكنَّه عن علم ما في المستقبل والغيب في عماءٍ.

---

(١) هذا البيت غير موجود في الديوان ولكنه موجود في مصادر أُخرى.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص١١٠ - ١١١ - ١١٢.

يقول في البيت الثّالث: ومن لا يدارِ النّاس ويظهر بخلاف ما يبطن من الحُنق، فكأنّه يُؤكَل بالأضراس، ويداس بحافر الجَمَل، أي يُذلُّ ويُهان.

ويقول في البيت الرّابع: ومن يكن عنده زيادةٌ في المالِ والممتلكات فيبخل على قومه بها ويضنّ إلا استغنى قومُه عنه، وذمُّوه لبخله.

ويقول في البيت الخامس: ومن يضع المعروف أمامَ عرضه يصنه، ومن لا يتحاشى الشَّتائمَ يُشتم، وتحاشي الشّتائمِ يكونُ بفعل المعروف وعدم شتم الناس، وقد قال الرسول صلَّى الله عليه وسلم: "إنَّ مِن أكْبَرِ الكَبائِرِ أنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ والِدَيْهِ قيلَ: يا رَسولَ اللَّهِ، وكيفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ والِدَيْهِ؟ قالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أبا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أباهُ، ويَسُبُّ أُمَّهُ"[1].

ويقول في البيت السَّادس: ومن لا يدافع بسلاحه عمّا يجب الدِّفاع عنه من الحريم والولد والحَلال والسُّمعة فإنَّه يُستباح من النّاس، ولا يَقصد الشاعر بالظّلم، الظّلمَ الذي نعرفه وإنّما قال ذلك على سبيل المُشاكلة اللفظية، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل المُشاكلة أيضًا: "انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، أنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذا كانَ ظالِمًا كيفَ أنْصُرُهُ؟ قالَ: تَحْجُزُهُ، أوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ"[2] فالقتلُ - كما قالت العرب - أنفى للقتل، وقال تعالى: [3].

ويقول في البيت السَّابع: ومن ظنَّ أنَّه بعيدٌ عن الموت وأسبابه فالموت لاقيه لا محالةَ قال تعالى: [4] فإنَّ الموت سينالُ من الإنسانَ ولو حاول الصعود إلى السَّماء.

ويقول في البيت الثَّامن: ومن لا تؤثّر فيه الرِّماح القصيرة فستؤثر فيه الرّماحُ الطّويلة، أيّ أنّه من لا يليّنه السَّلام فستليّنه الحرب.

(١) صحيح البخاري، ص١٥٠٠ - ١٥٠١.

(٢) صحيح البخاري، ص١٧٢١.

(٣) البقرة، الآية: ١٧٩.

(٤) الجمعة، الآية: ٨.

ويقول في البيت التّاسع: ومن يكن وفيًّا فإنّه لا يُذمّ، ومن أراد القيام بالبِرّ والإحسان فلا يتردّد، قال تعالى: .[1]

ويقول في البيت العاشر: إنَّ من يغتربْ ويهاجرْ لا بُدَّ له من أنْ يتأثَّرَ ويغيِّرَ طباعَه، فيحسَبُ أعداءَه أصدقاءَه، لذلك روي عن الرسول صلَّى الله عليه وسلم أنَّه قال: "أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ"[2]، ثمَّ يقول: إنَّ من لا ينأى ويبتعد عن سفاسف الأمور ورذائلها، وعن مواطن السوء والإهانة، فلن يكرّمَه النّاسُ.

ويقول في البيت الحادي عشر: ومهما حاول الإنسان أن يُضمر الأخلاق التي يتّصف بها، فلا بُدَّ أن تظهر وتبدو للناس، وبذلك يكون شاعرُنا قد سبق عالم النّفس (فرويد) بألفٍ وأربعمائة سنة، إذ تحدّث عن أثر اللاشعور في التعبير عن المشاعر المكبوتة، ويروى عن علي كرّم الله وجه أنّه قال: "ما أضمر أحدٌ شيئًا إلّا ظهر في فَلَتَات لسانه، وصفحات وجهه".

ويقول في البيت الثّاني عشر: وكم ترى من إنسانٍ صامتٍ تعجبك هيئته، لكنّ تأكيدَ هذا الإعجاب أو نفيَه قرينٌ بتكلّمه، لذلك قال Abraham Lincoln "خيرٌ لك أن تظلَّ صامتًا ويظنَّ الآخرون أنّك أبله، من أن تتكلم فتؤكد تلك الظُّنون!!".

ويقول في البيت الثّالث عشر: إنَّ الذي يُلقي أحماله وأثقاله وواجباته على النّاس بإصرارٍ وبلادة فإنّه يُصبح ذليلًا ويملُّه النّاس ويبعدونه عنهم.

ويقول في البيت الرّابع عشر: إنَّ من يُسدي المعروف عليه أن يتحرّى عمّن يُسدي المعروفَ إليه، لأنّه إذا أسدى المعروف إلى غير من يستحقُّه فإنَّ ذلك قد يجرّ عليه الوبالَ والندم، خاصةً إذا أُسدي المعروف إلى لئيم، لكنَّ هذا يخالف الإسلام فقد قال الرسول الله صلَّى الله عليه وسلم: "قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ:

---

(١) آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بلي، دار الرسالة العلميّة، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٢٨١.

اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا في يَدَيْ زَانِيَةٍ، فأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ على زَانِيَةٍ، فَقالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، علَى زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا في يَدَيْ غَنِيٍّ، فأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ علَى غَنِيٍّ، فَقالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، علَى سَارِقٍ وعلَى زَانِيَةٍ وعلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فقِيلَ له: أَمَّا صَدَقَتُكَ علَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عن سَرِقَتِهِ، وأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عن زِنَاهَا، وأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فيُنْفِقُ ممَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ"(١). وروي عن الرسول صلَّى الله عليه وسلم أنّه قال: " اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَإِلَى مَنْ لَيْسَ هُوَ أَهْلُهُ، فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ فَهُوَ أَهْلُهُ، وَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ"(٢).

يقول في البيت الخامس عشر: ما المرء إلا عبارةٌ عن لسانٍ وقلبٍ، أمّا ما يتبقى من الجسد فهو لحمٌ ودمٌ لا قيمةَ له، وقالت العرب: "المرء بأصغريه قلبه ولسانه".

يقول في البيت السّادس عشر: حريٌّ بالشّيخ أن يعقِل ويصيرَ حكيمًا لأنّه إذا طاشَ وجهِلَ في هذا السنّ فمتى سيعقل، أما الشّاب فلربّما يعقِل إذا ظهر الشّيب في رأسه.

يقول في البيت الأخير: سألناكم العطايا والهبات فأعطيتمونا، ثم عدنا إلى السّؤال فعدتم للعطاء، ومن أكثر التّسآل فإنّه سيحرم العطاء بلا شكّ، وقد أجاد الشّاعر استخدام الوزن تفعال في هذا البيت وكان استخدامًا مناسبًا جدًا ويدل على الكثرة.

* * *

الفراسة

ويقول زُهير بن أبي سُلمى من الوافر:

وَلا تُكثِر عَلى ذي الضِّغنِ عَتبًا وَلا ذِكرَ التَجَرُّمِ لِلذُّنوبِ

---

(١) صحيح البخاري، ص٣٤٥.

(٢) مسند الشهاب، القضاعيّ، تح: حمدي بن عبد المجيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ج:١، ص٤٣٦.

وَلا تَسأَلهُ عَمّا سَوفَ يُبدي   وَلا عَن عَيبِهِ لَكَ بِالمَغيبِ
مَتى تَكُ في صَديقٍ أَو عَدُوٍّ   تُخَبِّركَ الوُجوهُ عَنِ القُلوبِ[1]

يقول زهير لا تعتب على ذوي الضّغائن والأحقاد، ولا تعاتبهم على ذنوبهم وجرائرهم، ولا تسألهم عمَّا تُضمر قلوبهم، ولا عن اغتيابهم لك، فالأصدقاء والأعداء تُنبئ عنهم وجوههم عمَّا في قلوبهم.

* * *

هَل يَرى الناسُ ما أَرى

يقول زهير بن أبي سُلمى من الطّويل:

١- أَلا لَيتَ شِعري هَل يَرى النَّاسُ ما أَرى   مِنَ الأَمرِ أَو يَبدو لَهُم ما بَدا لِيا
٢- بَدا لِيَ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ فَزادَني   إِلى الحَقِّ تَقوى اللهِ ما كانَ بادِيَا
٣- بَدا لِيَ أَنَّ النَّاسَ تَفنى نُفوسُهُم   وَأَموالُهُم وَلا أَرى الدَّهرَ فانِيَا
٤- وَأَنّي مَتى أَهبِط مِنَ الأَرضِ تَلعَةً   أَجِد أَثَرًا قَبلي جَديدًا وَعافِيَا
٥- أَراني إِذا ما بِتُّ، بِتُّ عَلى هَوىً   وَأَنّي إِذا أَصبَحتُ، أَصبَحتُ غادِيَا
٦- إِلى حُفرَةٍ أُهدى إِلَيها مُقيمَةٍ   يَحُثُّ إِلَيها سائِقٌ مِن وَرائِيَا
٧- كَأَنّي وَقَد خَلَّفتُ تِسعينَ حِجَّةً   خَلَعتُ بِها عَن مَنكِبَيَّ رِدائِيَا
٨- بَدا لِيَ أَنّي لَستُ مُدرِكَ ما مَضى   وَلا سابِقًا شَيئًا إِذا كانَ جائِيَا
٩- أَراني إِذا ما شِئتُ لاقَيتُ آيَةً   تُذَكِّرُني بَعضَ الَّذي كُنتُ ناسِيَا
١٠- وَما إِن أَرى نَفسي تَقيها كَريهَتي   وَما إِن تَقي نَفسي كَرائِمُ مالِيَا
١١- أَلا لا أَرى عَلى الحَوادِثِ باقِيا   وَلا خالِدًا إِلّا الجِبالَ الرَواسِيَا
١٢- وَإِلّا السَّماءَ وَالبِلادَ وَرَبَّنا   وَأَيّامَنا مَعدودَةً وَاللَّيالِيَا

(١) ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص٢٩.

١٣- أَلَــم تَــرَ أَنَّ اللهَ أَهلَــكَ تُبَّعًــا وَأَهلَــكَ لُقمــانَ بــنَ عــادٍ وَعادِيَــا
١٤- وَأَهلَكَ ذا القَرنَينِ مِن قَبلِ ما تَرى وَفِرعَــونَ جَبّــارًا طَغــى وَالنَّجاشِــيَا[1]

يقول في البيت الأوّل: ليتني أعلم هل يرى النّاس بقلوبهم ما أرى وهل يبدو لهم ما يبدو لي من الحكمة.

ويقول في البيت الثّاني: لقد زادتني معرفةُ أنَّ الله حقٌّ تقوىً من الله.

ويقول في البيت الثّالث: إنَّ النّاسَ وأموالَهم يفنَون ويبقى الله عزّ وجل، وفي هذا قال تعالى: [2].

ويقول في البيت الرّابع: إنّي متى ما أنزل من مرتَفعٍ من الأرض، فإني أجد الآثار الجديدة والمعفّاة الدارسة من الحيوانات والبشر.

ويقول في البيت الخامس والسّادس: أرى حاجات نفسي لا تنقضي وكلمّا تحقّق لي المراد طلبتُ المزيد، وقال خامس الخلفاء، الخليفةُ عمرُ بن عبد العزيز: "إنَّ لي نفسًا توّاقة تاقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، وتاقت إلى الإمارة فوليتها، وتاقت إلى الخلافة فأدركتها، وقد تاقت إلى الجنَّة فأرجو أن أُدركها إن شاء الله عزّ وجل"[3]، فينام الشّاعر على حاجاتٍ لا تنتهي، وقد يصحو ويصبح ذاهبًا إلى حفرة القبر، وقد حمَله النّاسُ على الأعناق وهم يسوقونه إلى الدَّفن.

ويقول في البيت السّابع: لقد أفنتني السّنون وأثّرت بي حتّى كأنّها خلعت ردائي عنّي.

ويقول في البيت الثّامن: لقد علَّمتني الحياة أنني لا أستطيع تغيير الماضي، وأنَّ ما قُسم لي، لن يتأخرَ أو يحيدَ، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الشّريف: "الرِّزقُ أشدُّ طلبًا للعبدِ من أجَلِه"[4].

---

(١) ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢.
(٢) الرحمن، الآية: ٢٦ - ٢٧.
(٣) وفيات الأعيان، ابن خُلَّكان، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م، ج:٢، ص٣٠١.
(٤) مسند الشهاب، أبو عبد الله حكمون القضاعيّ، تح: حمدي بن عبد المجيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ج١، ص١٦٨.

ويقول في البيت التّاسع: أرى أنّ حَدَثان الدَّهر تتكرَّر وتذكرني بالموت مرّةً بعد مرةً، وفي هذا يقول متمّم بن نويرة اليربوعيّ يتذكَّر أخاه مالكًا من الطَّويل:

لقد لامني عند القبور على البُكا رفيقي لتذرافِ الدموعِ السَّوافكِ

أَمِن أجلِ قبرٍ بالمَلا أنتَ نائحٌ على كلِّ قبرٍ أو على كلِّ هالكِ

فقال أتبكي كلَّ قبرٍ رأيتَه لقبرٍ ثوى بين الّلوى فالدّكادكِ

فقلتُ له إنَّ الشَّجا يبعثُ الشّجا فدعني فهذا كلُّه قبرُ مالكِ[1]

ويقول في البيت العاشر: لا يقي نفسي من الموت شدّتي وبأسي وقوّتي، ولا يقيها من الموت أموالي الكثيرة.

ويقول في البيت الحادي عشر والثّاني عشر: أرى أنَّ المصائب والدواهي والمنايا لا تبق على أحدٍ ولا يتحمّلها أحدٌ ولا يبقى في الحياة إلا الجبال العظيمة الشاهقة والسَّماء والله تعالى، إذ إنَّ أعمارنا محدودةٌ ومعدودةٌ.

ويقول في البيت الثَّالث عشر والرَّابع عشر: ألم تر أنَّ الله أهلك تُبَّعا ولقمان ابن عاد وهما من ملوك حِمير، وأهلك عادياء والإسكندر الكبير وفرعون الشهير وأهلك ملك الحبشة النجاشيّ، وربما يسمى كلّ ملك حبشة بالنجاشيّ وبالتالي هذا النجاشيّ المذكور ليس بالنجاشيّ الذي هاجر إليه الصحابة رضوان الله عليهم.

* * *

عِزَّة وإباء

وقال جميل بن المُعلّى الفَزاري من الوافر:

وَأَعرِضُ عَن مَطاعِمَ قَد أَراها وَأَترُكُها وَفي بَطني اِنطِواءُ

فَلا وَأَبيكَ ما في العَيشِ خَيرٌ وَلا الدُنيا إِذا ذَهَبَ الحَياءُ

---

(١) مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ابتسام الصفّار، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨م، ص١٢٥.

يَعــيشُ المَــرءُ مــا اِســتَحيا بِخَيــرٍ وَيَبقــى العــودُ مــا بَقِــيَ اللِحــاءُ[١]

يأبى الشاعر أن يأكل على ذلٍّ وهوانٍ ويترك الطَّعام وبطنه جائعةٌ، حياءً وتعفُّفًا، فلا يرى في الحياة خيرًا ولا الدُّنيا بغير حياءٍ وإباءٍ، وهذا يذكرنا برواية الجوع للكاتب النَّرويجي كنوت هامسون، وتحكي عن قصّةِ كاتبٍ فقيرٍ معدِمٍ، يأبى أخذَ الأموال بالطرق المُذلّة.

* * *

كلُّ حِصْنٍ وإن طالت سلامَتُهُ

وقال أبو دواد الإياديّ من البسيط:

وكــلُّ حِــصْنٍ وإن طالــت ســلامَتُهُ يومًــا ســيدخُلُهُ النَّكــراءُ والحُــوبُ
وكــلُّ مــن خــالَ أنَّ المــوتَ مُخطِئُـهُ مُعلَّـــلٌ بــسَواءِ الحــقِّ مكــذوبُ[٢]
كُــلُّ امــرئٍ بلقــاءِ المــوتِ مُــرتَهَنٌ كأنَّــه غَــرَضٌ للمــوتِ منــصوبُ[٣]

يقول أنَّ كل حصنٍ سيدخله الوحشة والحزن والدَّمار مهما طال الزَّمان، ومن ظنَّ أنَّ الموتَ لن يصيبه فهو يعلِّقُ أملَهُ بالباطل وهذا ما تكذِّبه الوقائع، فكلُّ امرئٍ مربوطٌ بأجله، كأنَّه هدفٌ منصوبٌ للموت لن يخطئه.

* * *

ما هو الفقر؟

وقال أبو دواد الإياديّ من الخفيف:

---

(١) الحماسة البصريّة، أبو الحسن البصريّ، تح: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ج٢ ص٨٠٦.
(٢) ديوان أبو دواد الإياديّ، تح: أنوار محمود الصالحيّ، د. أحمد هاشم السامرائيّ، دار العصماء، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص٣٣ – ٣٤.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٧.

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدْمًا ولكنْ   فقْدُ من قد رُزِئتُه الإعدامُ[١]

فهو لا يعُدُّ قلّة الرِّزقِ فقرًا، بل فقدان من فُجِعَ به هو الفقر الحقيقيّ.

* * *

خطأ التعميم

وقال أبو دواد الإياديّ من المتقارب:

أَكُلَّ اِمرِئٍ تَحسَبينَ اِمرأً   وَنارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيلِ نارا؟![٢]

يقول لمخاطَبته لا تُعممي، فما كل الرجالِ رجالٌ، وما كلُّ النيرانِ نارٌ متوقِّدة.

* * *

الأيام تمرُّ مرَّ السَّحاب

وقال هُدبة بن الخشرم من الوافر:

فإنْ يَكُ صدْرُ هذا اليومِ وَلَّى   فإنَّ غدًا لناظِره قريبُ[٣]

إنَّ مرورَ الأيام سريعٌ جدًا، والغدُ لِمنتظره أقربُ ممّا يُتوقَّع.

* * *

اليأس والرجاء

وقال هدبة بن خشرم من الطّويل:

وَبَعضُ رِجاءِ المَرءِ ما لَيسَ نائِلاً   عناءٌ وَبَعضُ اليأَسِ أَعفى وأَروَحُ[٤]

---

(١) ديوان أبو داود الإياديّ، ص١٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٢.

(٣) شعر هُدبة بن الخشرم العُذريّ، تح: د. يحيى الجبوريّ، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص٦٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٨٨.

هكذا وردت في بعض المصادر.

إنَّ تمنّي المرء الأمورَ المستحيلةَ يتعبه، واليأس عنها يجعل النّفَس تسلو وتنسى وذلك خيرٌ لها.

* * *

التّقوى

وقال هدبة بن خشرم أيضًا من الطّويل:

وأَنَّ التُّقـــى خَيـــرُ المَتـــاع وإِنَّمـــا نَـصيبُ الفَتـى مِـن مالِـهِ مـا تَمتَّعـا[1]

إنَّ التُّقى خيرُ ما يُتَّخذ، وليس للمرء من ماله إلا ما تمتّع به ففيم الشُّحُّ والبُخل؟ وفي هذا يقول رسولنا الكريم صلَّى الله عليه وسلم: "يقولُ ابنُ آدَمَ: مالي. وإنَّما لكَ مِن مالِك ما أكَلْتَ فأفنَيْتَ أو لبِسْتَ فأبلَيْتَ أو تصدَّقْتَ فأمضَيْتَ".

* * *

المِزاح والحُتوف

وقال هدبة بن خشرم من الطّويل:

وَرُبَّ كَـلامٍ قَـد جَـرى مِـن مُمـازِحٍ فَـساقَ إِلَيـهِ سَـهمَ حَتـفٍ فَعَجَّـلا

فَـدَع عَنـكَ قُـربَ المَـزحِ لا تَقرُبَنَّـهُ كَفـى بِـامرِئٍ وَعظًـا إِذا مـا تَكَهَّـلا[2]

إنَّ كثيرًا من المزاح وخِفَّةَ العقل قد جلبت إلى أصحابها حتوفَهم، فلا تقترب من المزاح، وكفى بالشّيب واعظًا.

* * *

القَرابة

وقال المسيَّب بن علس من المتقارب:

---

(١) شعر هُدبة بن الخشرم العُذريّ، ص١١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٩.

وَفــي النَّــاسِ مَــن يَــصِلُ الأَبعَــدَينِ   وَيَــشقى بِــهِ الأَقــرَبُ، الأَقــرَبُ [(١)]

وهذا صحيح، فهاهُما امرأتَا سيدنا نوح وسيدنا لوط عليهما وعلى رسولنا الصلاة والسلام، قد كفرتا، قال تعالى:

[(٢)] وقال عزَّ سلطانه:

.[(٣)]

* * *

السُّخطُ والرضا

وقال المسيّب بن علَس من الوافر:

وَعَــينُ الــسُخطِ تُبــصِرُ كُــلَّ عَيــبٍ   وَعَينُ أَخـي الرِّضـا عَـن ذاكَ تَعمـى[(٤)]

إنَّ الإنسان عندما يسخط ويغضب لا يستطيع التغاضي عن العيوب، وحينما ينظر الإنسان بعين الرِّضا فإنّه يتعامى عنها، وفي هذا قال الإمام الشافعي من الطويل:

وَعَـينُ الرِضـا عَـن كُـلِّ عَيـبٍ كَليلَـةٌ   وَلَكِنَّ عَينَ الـسُخطِ تُبدي المَساوِيا[(٥)]

وهذه الصِّفات من صفات اليهود فهم منافقون، فإذا كان الإنسان كما يشتهي هواهم كان جيِّدًا بنظرهم، ورفعوه ومدحوه، وإذا خالف هواهم هجَوه وأبعدوه وما خبر الصحابي عبد الله بن سلام اليهوديّ الذي أسلم ببعيد، "قال الرسول صلَّى الله عليه وسلم لليهود: فأيُّ رجلٍ فيكم عبد الله بن سلام؟

قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا.

---

(١) ديوان المسيَّب بن عَلَس، تح: د. عبد الرحمن محمد الوصيفي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص٧٣.

(٢) التّحريم، الآية: ١٠.

(٣) التّغابن، الآية: ١٤.

(٤) ديوان المسيّب بن علس، ص١٢٣.

(٥) ديوان الإمام الشافعيّ، إعداد: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص١٥٧.

قال: أفرأيتم إن أسلم؟

قالوا: حاش لله ما كان لِيُسلم.

قال: يا ابن سلام اخرج عليهم، فخرج فقال: يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلّا هو، إنّكم لتعلمون أنّه رسول الله وأنّه جاء بالحقّ.

فقالوا: كذبت...

فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق.

قالوا: شَرُّنَا وابن شَرِّنَا، وتنقَّصُوه فقال: يا رسول الله هذا الذي كنتُ أخاف!"[(١)]

* * *

الخير والشر

وقال طرفة بن العبد من البسيط:

الخَيرُ خَيرٌ وَإِن طالَ الزَمانُ بِهِ ... وَالشَرُّ أَخبَثُ ما أَوعَيتَ مِن زادِ[(٢)]

سيبقى الخيرُ خيرًا حتى الأبد، والشّر أسوأُ ما أضمرت في نفسك، أو ملأتَ به مِزودتَك وقلبك.

* * *

ذوو القربى

وقال طرفة بن العبد من الطّويل:

وَظُلمُ ذَوي القُربى أَشَدُّ مَضاضَةً ... عَلى المَرءِ مِن وَقع الحُسامِ المُهَنَّدِ[(٣)]

إنَّ الظُّلمَ عندما يقع من الأقارب والمحبيّن أشدُّ وأكثر أثرًا ممّا لو كان الظُّلم واقعًا من الأعداء، بل إنَّ هذا الظُّلمَ أشدُّ من وقع السّيف المُرهَف.

* * *

(١) البداية والنّهاية، ابن كثير، ت: عبد الله التركيّ، دار هجر، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج٤، ص٥٢١.

(٢) ديوان طرفة بن العبد، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م، ص٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٧.

خالقِ النّاس بخُلُق حسن

وقال طرفة بن العبد أيضًا من الرَّمَل:

خـــالِطِ النـــاسَ بِخُلُـــقٍ واسِـــعٍ ... لا تَكُـن كَلبًـا عَلـى النـاسِ تَهِـرّ [1]

إنَّ الأخلاق هي ما تميّزُ الإنسان من الحيوان والكلب الذي ينبح، لذلك يجب علينا مخالطةُ النَّاس بأخلاقٍ واسعةٍ وفي هذا قال الرسول صلَّى الله عليه وسلم: "إنَّكُم لا تَسعونَ النَّاسَ بأموالِكم، ولكن يسَعُهُم منكُم بَسطُ الوجهِ وحُسنُ الخلُقِ"[2].

* * *

أَرواحُ الرِجالِ

وقال طرفة بن العبد أيضًا من الطّويل:

وَأَعلَـمُ عِلمًـا لَـيسَ بِـالظَّنِّ أَنَّـهُ ... إِذا ذَلَّ مَـولى المَـرءِ فَهـوَ ذَليـلُ

وَإِنَّ لِسانَ المَـرءِ مـا لَـم تَكُـن لَـهُ ... حَـصاةٌ عَلـى عَوراتِـهِ لَـدَليلُ

وَإِنَّ اِمـرَأً لَـم يَعـفُ يَومًـا فُكاهَـةً ... لِمَـن لَـم يُـرِد سـوءًا بِهـا لَجَهـولُ

تَعـارَفُ أَرواحُ الرِّجـالِ إِذا اِلتَقَـوا ... فَمِـنهُم عَـدُوٌّ يُتَّقـى وَخَليـلُ [3]

يقول طَرفة: أعلم علمَ اليقين أنّه إذا ذلّ أقارب المرء فهو ذليلٌ، ثم يقول: إنَّ اللّسان يكشف عيوبَ المرء إذا لم يحصّنه بالعقل ويجعله حاجبًا عليه. ثمّ يقول: إنَّ الرَّجلَ الذي لا يعفو عن الزلّات الصغيرة فإنَّه جاهليٌّ سفيهٌ. ثمّ يقول: إنَّ أرواح الرِّجال تأتلف وتختلف، فمن النَّاس من نتّخذهم أصدقاء، ومنهم من نتّخذهم أعداء، وفي هذا قال

(١) ديوان طرفة بن العبد، ص٤٩.

(٢) شُعب الإيمان، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقيّ، تح: مختار أحمد الندوي، مكتبة، الرّياض، الطّبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ج١٠، ص٤٠٢.

(٣) ديوان طرفة بن العبد، ص٦٧.

رسولنا محمّد صلّى الله عليه وسلم: "الأرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَما تَعارَفَ مِنْها ائْتَلَفَ، وما تَناكَرَ مِنْها اخْتَلَفَ"(١).

* * *

حياةُ سبعةِ أنسر

وقال طرفة بن العبد من الطّويل:

فَكَيفَ يُرَجّي المَرءُ دَهرًا مُخَلَّدًا وَأَعمالُهُ عَمّا قَليلٍ تُحاسِبُه

أَلَم تَرَ لُقمانَ بنَ عادٍ تَتابَعَت عَلَيهِ النُّسورُ ثُمَّ غابَت كَواكِبُه(٢)

يقول طرفة: كيف يرجو المرء أنْ يعيشَ خالدًا في الدُّنيا وأعمالُه تُحصى عليه وهو محاسبٌ عليها، ثم يقول ألم تر إلى لقمان بن عاد ولقمان هذا شخصٌ زعمت العربُ أنّه عُمِّرَ حياةَ سبعةِ أنسرٍ ثم مات، والمعنى أنّ ما من إنسان يعيش على هذه الأرض إلى الأبد، وفي هذا يقول أبو العتاهية من مجزوء الرَمَل:

نُحْ عَلى نَفسِكَ يا مِسـ ـكينُ إِن كُنتَ تَنوحُ

لَتَموتَنَّ وَإِن عُمـ ـمِرتَ ما عُمِّرَ نوحُ(٣)

وقال تعالى:

(٤) فهكذا يحسَب الإنسان أنَّ قدرتَه وقوّته ستبقيان، ولكن هيهات.

* * *

العقل

وقال طرفة بن العبد من المديد:

(١) صحيح البخاري، ص٨٢٠.

(٢) ديوان طرفة بن العبد، ص١١.

(٣) ديوان أبو العتاهية، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٦م، ص١١٦ - ١١٧.

(٤) البقرة، الآية: ٩٦.

لِلفَتـــى عَقـــلٌ يَعــيشُ بِـــهِ حَيــثُ تَهــدي ســاقَه قدُمــه[1]

طالما ائتمر الرَّجل بإمرة عقله فهو في سلامة، وكما تهدي القدمُ الساقَ وتمنعها من الزَّلل كذلك يعصم العقلُ المرءَ من ذلك الزَّلل.

* * *

وصايا طَرَفة

وقال طرفة بن العبد من المتقارب:

١- إِذا كُنـتَ فـي حاجَـةٍ مُرسِـلًا فَأَرسِـل حَكيمًـا وَلا توصِـهِ

٢- وَإِن ناصِـحٌ مِنـكَ يَومًـا دَنـا فَـلا تَنـأَ عَنـهُ وَلا تُقـصِهِ

٣- وَإِن بـابُ أَمـرٍ عَلَيـكَ اِلتَـوى فَـشاوِر لَبيبًـا وَلا تَعـصِهِ

٤- وَذو الحَـقِّ لا تَنـتَقِص حَقَّـهُ فَـإِنَّ القَطيعَـةَ فـي نَقـصِهِ

٥- وَلا تَـذكُرِ الـدَّهرَ فـي مَجلِـسٍ حَـديثًا إِذا أَنـتَ لَـم تُحـصِهِ

٦- وَنُـصَّ الحَـديثَ إِلـى أَهلِـهِ فَـإِنَّ الوَثيقَـةَ فـي نَـصِّهِ

٧- وَلا تَحرِصَـنَّ فَـرُبَّ اِمـرِئٍ حَـريصٍ مُـضاعٍ عَلـى حِرصِـهِ

٨- وَكَـم مِـن فَتـىً سـاقِطٍ عَقلُـهُ وَقَـد يُعجَـبُ النَّـاسُ مِـن شَخـصِهِ

٩- وَآخَـرَ تَحـسَبُهُ أَنوَكًـا وَيَأتيـكَ بِـالأَمرِ مِـن فَـصِّهِ

١٠- لَبِـستُ اللّيـالي فَـأَفنَينَني وَسَـربَلَني الـدَّهرُ فـي قُمـصِهِ[2]

يقول في البيت الأوَّل: إذا أرسلت حكيمًا في حاجةٍ لك فلا توصه لأنَّه ليس بحاجةٍ للإيصاء.

---

(١) ديوان طرفة بن العبد، ص٧٣.

(٢) ديوان طرفة بن العبد، ص٥٩.

ويقول في البيت الثَّاني: وإن أراد شخصٌ ما نُصحك فاقبل منه ولا تصدَّه.

ويقول في البيت الثَّالث: إنْ صَعُبَ عليك أمرٌ من الأمور، فشاور صاحبَ العقل ولا تخرج عن مشورته، فمشورتُه مُلزمَة.

ويقول في البيت الرَّابع: لا تنتقص الحقَّ من صاحب الحقّ، فإنَّ القطيعةَ في ذلك.

ويقول في البيت الخامس: لا تذكر في حياتك كلّها حديثًا إذا لم تكن مُعِدًّا له وقد حسبتَ له حسابًا.

ويقول في البيت السَّادس: إذا اقتبست من أحدٍ قولًا فانسبه إليه، لأنّ هذا من الأمانة.

ويقول في البيت السَّابع: لا تبخل فكثيرًا ما ضيَّع البخلُ الرِّجال.

ويقول في البيت الثَّامن: كم من فتىً مظهره يُعجب النَّاس ولكنَّه ضعيف العقل!

ويقول في البيت التَّاسع: وكم من فتى تحسبه أحمقًا ويأتيك بالأمر على أساسه وكما يجب أن يكون!، فلا تحكم على النَّاس من مظاهرهم.

ويقول في البيت العاشر: لقد عشت الليالِيَ فأفنينني، حتَّى ألبسني الدهر قمصانَه، وصبغني بألوانه.

* * *

قَد يَبعَثُ الأَمرَ العَظيمَ صَغيرُهُ

وقال طرفة بن العبد أيضًا من الكامل:

١- قَد يَبعَثُ الأَمرَ العَظيمَ صَغيرُهُ ... حَتّى تَظَلَّ لَهُ الدِّماءُ تَصَبَّبُ

٢- قَد يورِدُ الظُّلمُ المُبَيِّنُ آجِنًا ... مِلحًا يُخالَطُ بِالذُّعافِ وَيُقشَبُ

٣- وَقِرافُ مَن لا يَستَفيقُ دَعارَةً ... يُعدي كَما يُعدي الصَّحيحَ الأَجرَبُ

٤- وَالإِثمُ داءٌ لَيسَ يُرجى بُرؤُهُ ... وَالبِرُّ بُرءٌ لَيسَ فيهِ مَعطَبُ

٥- وَالصِّدقُ يَأَلَفُهُ الكَريمُ المُرتَجى ... وَالكِذبُ يَأَلَفُهُ الدَنيءُ الأَخيَبُ

٦- وَلَقَـد بَـدا لِـيَ أَنَّـهُ سَـيَغولُني ... مـا غـالَ عـادًا وَالقُـرونَ فَأَشـعَبوا

٧- أَدّوا الحُقوقَ تَفِر لَكُم أَعراضُكُم ... إِنَّ الكَـريمَ إِذا يُحَـرَّبُ يَغـضَبُ[1]

يقول في البيت الأوّل: إنَّ صغارَ الأمور قد تتسبّب بجِسامها وعظيمها، حتَّى توصلَ إلى سفك الدّماء الغزيرة والمعصومة.

ويقول في البيت الثَّاني: إنَّ الظُّلم قد يُورد على المياه المالحة التي تغيّر طعمها والتي خُلطت بالسُّمّ الذّعاف الذي يقتل لساعته، فالظُّلم يوردُ المهالك.

يقول في البيت الثَّالث: إنَّ مخالطةَ الخُبثاء تجلب الأسقامَ وتعدي كما يعدي الأجربُ الصحيحَ.

ويقول في البيت الرَّابع: الإثم مرضٌ لا يُرجى شفاؤه، والبِرُ والخيرُ شفاءٌ لا هلاكَ فيه.

ويقول في البيت الخامس: إنَّ الأخلاق الكريمة كالصّدق يألفُها الكريم صاحب النّفس الكريمة والذي يرجوه النَّاسُ عند مصائبهم، بينما يألفُ الكذبَ الحقيرُ من الناس، الخائبُ منهم.

ويقول في البيت السَّادس: لقد تيقَّنت أنَّه سيهلكني ما أهلك قبيلةَ عادٍ العربيّة التي بادت.

ويقول في البيت السَّابع: أدّوا الحقوق إلى أصحابها ولا تظلموا تُصَن أعراضكم، لأنَّكم إذا حاربتم واعتديتم على الرَّجُل صاحب الكرامة فإنَّه سيغضب ويحاربكم أيضًا.

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل

وقال طرفة من الطويل:

١- إِذا شـاءَ يَومًـا قـادَهُ بِزِمامِـهِ ... وَمَـن يَـكُ فـي حَبـلِ المَنيَّـةِ يَنقَـدِ

٢- إِذا أَنـتَ لَـم تَنفَـع بِـوِدِّكَ قُربَـةً ... وَلَـم تَنـكِ بِالبُؤسـى عَـدوَّكَ فَابعَـدِ

---

(١) ديوان طرفة بن العبد، شرح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطّبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص١٣ - ١٤.

٣- أَرى المَوتَ لا يُرعي عَلى ذي قَرابَةٍ وَإِن كانَ في الدُّنيا عَزيزًا بِمَقعَدِ

٤- وَلا خَيرَ في خَيرٍ تَرى الشَّرَّ دونَهُ وَلا قائِلٍ يَأتيكَ بَعدَ التَّلَدُّدِ

٥- لَعَمرُكَ ما الأَيّامُ إِلّا مُعارَةٌ فَما اِسطَعتَ مِن مَعروفِها فَتَزَوَّدِ(١)

يقول في البيت الأوَّل: إنَّ الموت حينما يحين الأجل يقودُ الإنسان من زمامه كما تُقادُ النَّاقة، والموت يقود كلَّ إنسانٍ إلى حتفه.

ويقول في البيت الثّاني: إذا أنت لم توَد أرحامك وأقاربك، ولم توقع النكاية بأعدائك فلا قيمة لك، وهذا يذكرنا بقول النّابغة الجعديّ من الطويل:

إِذا أَنتَ لَم تَنفَع فَضُرَّ فَإِنَّما يُرَجّى الفَتَى كَيما يَضُرُّ ويَنفَعُ(٢)

أي انفع من يستحقُّ النفع وضُرَّ من يستحقُّ الضرر.

ويقول في البيت الثَّالث: إنَّ الموت لا يُبقي على ذي قرابة مهما علا شأنه وارتفع قدره.

ويقول في البيت الرَّابع: لا خيرَ في خيرٍ أمامه الشرّ، ولا في قائلٍ يأتيك بعد ترددٍ وحيرةٍ.

ويقول في البيت الخامس: يحلف بعمر المخاطَب مؤكدًا أنَّ الأيّام عاريةٌ مستردةٌ، فتزوّد من معروفها فإنَّك لا تدري إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر؟!

* * *

سَتُبدي لكَ الأيّامُ

وقال طرفة من الطويل:

سَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنتَ جاهِلًا وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تُزَوِّدِ

(١) ديوان طرفة بن العبد، ص٤٠ - ٤١.

(٢) ديوان النّابغة الجعديّ، تح: د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص١٠٦.

وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تَبِع لَهُ بَتاتًا وَلَم تَضرِب لَهُ وَقتَ مَوعِدِ[١]

إنَّ الحياةَ والتجارب ستعلّمكَ الذي تجهل وتجعل منك حكيمًا، وسيأتيك بالأخبار من لم تتوقَّع منه ذلك، ومن لم ترسله في سفر مع الزّاد، وسيأتيك بالأخبار من لم تشتري منه زادًا ولم تتبيّن خبَرهُ.

* * *

حِكَم عُبيد بن الأبرص

وقال عُبيد بن الأبرص من الطويل:

١- لَعَمرُكَ ما يَخشى الخَليطُ تَفَحُّشي عَلَيهِ وَلا أَنأى عَلى المُتَوَدِّدِ

٢- وَلا أَبتَغي وُدَّ اِمرِئٍ قَلَّ خَيرُهُ وَلا أَنا عَن وَصلِ الصَّديقِ بِأَصيَدِ

٣- وَإِنّي لَأُطفي الحَربَ بَعدَ شُبوبِها وَقَد أُوقِدَت لِلغَيِّ في كُلِّ مَوقِدِ

٤- فَأَوقَدتُها لِلظّالِمِ المُصطَلي بِها إِذا لَم يَزَعهُ رَأيُهُ عَن تَرَدُّدِ

٥- وَأَغفِلُ لِلمَولى هَناةً تُريبُني فَأَظلِمُهُ ما لَم يَنَلني بِمَحقِدي

٦- وَمَن رامَ ظُلمي مِنهُمُ فَكَأَنَّما تَوَقَّصَ حينًا مِن شَواهِقِ صِندِدِ

٧- وَإِنّي لَذو رَأيٍ يُعاشُ بِفَضلِهِ وَما أَنا مِن عِلمِ الأُمورِ بِمُبتَدي

٨- إِذا أَنتَ حَمَّلتَ الخَؤونَ أَمانَةً فَإِنَّكَ قَد أَسنَدتَها شَرَّ مُسنَدِ

٩- وَجَدتُ خَؤونَ القَومِ كَالعُرِّ يُتَّقى وَما خِلتُ غَمَّ الجارِ إِلّا بِمَعهَدي

١٠- وَلا تُظهِرَن حُبَّ اِمرِئٍ قَبلَ خُبرِهِ وَبَعدَ بَلاءِ المَرءِ فَاذمُم أَوِ اِحمَدِ

١١- وَلا تَتبَعَنَّ رَأيَ مَن لَم تَقُصَّهُ وَلَكِن بِرَأيِ المَرءِ ذي اللُّبِّ فَاقتَدِ

١٢- وَلا تَزهَدَن في وَصلِ أَهلِ قَرابَةٍ لِذُخرٍ وَفي وَصلِ الأَباعِدِ فَازهَدِ

١٣- وَإِن أَنتَ في مَجدٍ أَصَبتَ غَنيمَةً فَعُد لِلَّذي صادَفتَ مِن ذاكَ وَازدَدِ

(١) ديوان طرفة بن العبد، ص٣٨

١٤- تَـزَوَّد مِـنَ الـدُنيا مَتاعًـا فَإِنَّـهُ عَلـى كُـلِّ حـالٍ خَيـرُ زادِ المُـزَوِّدِ

١٥- لَعَـلَّ الَّـذي يَرجـو رَدايَ وَميتَتـي سَـفاهًا وَجُبنًـا أَن يَكـونَ هُـوَ الـرَدي

١٦- فَما عَيشُ مَن يَرجو هَلاكي بِضائِري وَلا مَوتُ مَن قَد ماتَ قَبلي بِمُخلِدي

١٧- وَلِلمَـرءِ أَيّـامٌ تُعَـدُّ وَقَـد رَعَـت حِبـالُ المَنايـا لِلفَتـى كُـلَّ مَرصَـدِ

١٨- مَنِيَّتُـهُ تَجـري لِوَقـتٍ وَقَـصرُهُ مُلاقاتُهـا يَومًـا عَلـى غَيـرِ مَوعِـدِ

١٩- فَمَن لَـم يَمُت في اليَومِ لا بُدَّ أَنَّهُ سَـيَعلَقُهُ حَبـلُ المَنِيَّـةِ فـي غَـدِ

٢٠- فَقُل لِلَّذي يَبغي خِلافَ الَّذي مَضى تَهَيَّـأ لِأُخـرى مِثلِهـا فَكَـأَن قَـدِ

٢١- فَإِنّـا وَمَـن قَـد بـادَ مِنّـا فَكَالَّـذي يَـروحُ وَكَالقاضـي البَتـاتِ لِيَغتَـدي[1]

يقول في البيت الأوّل: إنّه يحلف بعُمر المخاطَب أنّه لا يخشى الجارُ ولا الصاحبُ أن يفحش لهما في القول، وهو لا يبتعد ولا يُعرِض عن الذي يتودّد له، وهذا شأن الحكماء.

ويقول في البيت الثّاني: إنّه لا يريد صداقةَ وودَّ الأشرار، وليس ذلك تكبّرًا منه على الأَصدقاء الطيبين، وإنّما ترفعًا عن السُّفهاء.

ويقول في البيت الثّالث: إنّه لا يشارك بالحرب الأهوائيّة التي تُشن على الضعفاء بل يطفئها حتّى بعدَ أن اشتدَّ توقُّدُها وضِرامها.

ويقول في البيت الرّابع: إنّه يجهّز نار الحرب للظّلمة فيحرقهم بها حرقًا إذا لم يمنعهم عقلهم من البغي عليه.

ويقول في البيت الخامس: إنّه يغفر للصّديق الهَنات والزلّات الصغيرة بينما لا يتجاوز عن كوارثه الكبيرة التي تُثير الأحقاد والضّغائن.

(١) ديوان عَبيد بن الأبرص، شرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص٥٩ - ٦٠ - ٦١.

ويقول في البيت السَّادس: إنَّه من يفكّر في ظلمه ويقصده بالشّرّ فسيلقى حتفه، كالتردّي من الجبال الشَّاهقة.

ويقول في البيت السَّابع: إنَّه لذو رأيٍ رشيدٍ وسديدٍ ومجرَّبٍ، وهو خبيرٌ بطباع الناس وما تكنّه وتخفيه صدورهم، وقال الفاروق عمر رضي الله عنه في ذلك: "لستُ بالخِبِّ ولا الخِبُّ يخدعني" فليس بالمخادع ولا يمكن للمخادع أن يخدعه، وذلك لفطنته رضي الله عنه.

ويقول في البيت الثَّامن: إنَّك إذا أعطيت الخوّان أمانةً فقد ضيّعتها وهذا الفعل مناقضٌ للحكمة، وقد قال المتنبي في هذا المعنى من الطّويل:

وَوَضْعُ النَّدَى في مَوْضع السَّيْفِ بالعُلى مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضعِ النَّدَى[1]

فالتّصرّف بقوّة في موطن الّلين مضرٌّ بالسَّياسة كالتَّصرَّف بالّلين في موطن القوّة.

ويقول في البيت التَّاسع: إنّ الخوَّان كالجَرِب يجب الفرار منه لأنه يُعدي، والخيانة كذلك تعدي، فهي من أسوأ الأخلاق، قال الرسول صلَّى الله عليه وسلم في ذلك: "أعوذُ بِكَ منَ الخيانةِ، فإنَّها بئستِ البِطانةُ"[2].

ويقول في البيت العاشر: لا تُظهر حُبَّكَ وودَّك للرَّجل قبل اختبار أخلاقه وما تنطوي عليه نفسُه، ولا تعتمد على مظهره وظاهره، ولكن بعد الاختبار امدحه أو ذُمُّه، وإليكم قصة هذا الرجل الذي أتى الفاروق عمر يريد الشهادة على أمرٍ ما: "شهد رجلٌ عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشهادةٍ فقال له: لست أعرفك ولا يضرك أن لا أعرفك، ائت بمن يعرفك، فقال رجلٌ من القوم: أنا أعرفه قال بأيّ شيء تعرفه قال بالعدالة والفضل فقال: فهو جارك الأدنى الذي تعرف، ليله ونهاره ومدخله ومخرجه قال: لا، قال: فمُعاملك بالدِّينار والدِّرهم الّلذين بهما يُستدلّ على

(١) ديوان المتنبي، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٣م، ص٣٧٢.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب، ج٣، ص١٥٥.

الورع قال: لا، قال: فرفيقك في السَّفر الذي يُستدل على مكارم الأخلاق قال: لا، قال: لست تعرفه ثمّ قال للرجل: ائت بمن يعرفك!"[١].

ويقول في البيت الحادي عشر: لا تقتد برأي من لا تعرف كُنهه، ولكن برأي صاحب العقل ذي اللبِّ، المجرّب فاقتدي.

ويقول في البيت الثَّاني عشر: لا تزهد بودّ الأقارب فإنَّهم ذخرٌ لك، أمَّا الأباعد فازهد في ودّهم ورضاهم.

ويقول في البيت الثَّالث عشر: إذا كان آباؤك وعشيرتك وقبيلتك لهم مجدٌ يدرُّ عليهم الغنائم فحافظ على هذا المجد والسؤدد.

ويقول في البيت الرَّابع عشر: خذ زادك من فعل الخير في الدُّنيا، فإنَّ فعل الخيرِ، خيرُ زادٍ للآخرة.

ويقول في البيت الخامس عشر: إنَّ الذي يرجو موتي ويتمنّاه، لصغر عقله ولجهالته وجُبنه، أرجو له أن يكون هو الذي سيموت، وهذا من باب المعاملة بالمِثل.

ويقول في البيت السّادس عشر: ما حياةُ من يرجو موتي تضرّني، ولا موت النَّاس حولي سيمنعني من الموت ويمنحني الخلود، فالأمنيات لا تضرّ ولا تنفع، وهي مطيّة الكذب، قال تعالى:

[٢] والذي ينفع هو العمل، قال تعالى: [٣].

ويقول في البيت السَّابع عشر: فما الإنسان إلا وقتُه، والأيّام معدودة، وعيون الموت تترصّد كلَّ لحظةٍ، وتتحيَّن الفرصة للانقضاض على المرء.

ويقول في البيت الثَّامن عشر: إنَّ الموت سيأتي في أجله الذي أُجِّل له، حتى يبلغَ غايتَه، ولكن لا أحدَ يعلم متى أوانُ موته.

ويقول في البيت التَّاسع عشر: إنَّ الذي لم يمت اليوم فسيموت في المستقبل بالتأكيد.

---

(١) السّنن الكبرى، البيهقيّ، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م، ج١٠، ص٢١٣ - ٢١٤.

(٢) البقرة، الآية: ٧٨.

(٣) النجم، الآية: ٣٩.

ويقول في البيت العشرين: قل للّذي يريد التعميرَ والعيشَ الطويلَ إنَّ ذلك بخلاف القوانين الإلهية التي تقتضي موتَ الإنسان، فتجهَّز لحياةٍ ما بعد الموت، فهي قادمةٌ وكأنَّها قد حصلت.

ويقول في البيت الحادي والعشرين: إنَّ الفارق بيننا وبين من قد مات منَّا كالفارق ما بين الرَّوحة والغُدوة، وما بين شروق الشمس وأفولها.

* * *

صَبرٌ النَفسَ

وقال عبيد بن الأبرص أيضًا من الخفيف:

صَبِّرِ النَفسَ عِندَ كُلِّ مُلِمٍّ ... إِنَّ في الصَّبرِ حِيلَةَ المُحتالِ

لا تَضيقَنَّ في الأُمورِ فَقَد تُكـ ... ـشَفُ غَمّاؤُها بِغَيرِ اِحتِيالِ

رُبَّما تَجزَعُ النُّفوسُ مِنَ الأَمـ ... ـرِ لَهُ فُرجَةٌ كَحَلِّ العِقالِ[1]

يقول صبِّر نفسك عند المصائب والمُلِّمات، إنَّ في الصبر قوّة لمن ابتليَ، ثم يقول لا يضق صدرك جزعًا وخوفًا، فقد يكون انكشاف الحزن بغير تعبٍ وجهدٍ، فربمَّا تفرَقُ النفوس من المصائب وحلُّ هذه المصائب بسيطٌ سهلٌ كَحَلِّ العقدة.

* * *

قَد يَجيءُ بِها الغَدُ

وقال عبيد بن الأبرص من الكامل:

إِنَّ الحَوادِثَ قَد يَجيءُ بِها الغَدُ ... وَالصُّبحُ وَالإِمساءُ مِنها مَوعِدُ

وَالمَرءُ مِن رَيبِ المَنونِ بِغِرَّةٍ ... وَعَدا العَداءُ وَلا تُوَدَّعُ مَهدَدُ[2]

---

(١) ديوان عُبيد بن الأبرص، ص١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٩ - ٥٠.

إنَّ المصائب والرزايا قد تأتي في المستقبل القريب، والقريب جدًا لذلك يجب على المرء أخذ الحذر والاحتياطات اللازمة.

والمرء لا يأمن جانبَ الموت، فقد يأتي بغتةً، ويقول في الشَّطر الثَّاني وشغلتني الشواغل عن توديع حبيبتي.

* * *

وَغائِبُ المَوتِ لا يَؤوبُ

وقال عبيد بن الأبرص من مُخلَّع البسيط:

وَكُلُّ ذي غَيبَةٍ يَؤوبُ وَغائِبُ المَوتِ لا يَؤوبُ

مَن يَسأَلِ الناسَ يَحرِموهُ وَسائِلُ اللَهِ لا يَخيبُ

وَالمَرءُ ما عاشَ في تَكذيبٍ طولُ الحَياةِ لَهُ تَعذيبُ[1]

إنَّ كلَّ غائبٍ سيرجع، ولكنَّ الذي غيَّبه الموت لا رجعةَ له، وإنَّ سؤال النَّاس يريق ماءَ الوجه وغالبًا ما يردُّ النَّاسُ السائلَ، ولكنَّ الذي يسأل الله لا يضيّعه، وإنَّ حياةَ المرءِ كذبٌ، وطولها يعذِّب الجسد ويفنيه.

* * *

لا يَحمِلُ الحِقدَ

وقال عنترة بن شدّاد من البسيط:

لا يَحمِلُ الحِقدَ مَن تَعلو بِهِ الرُتَبُ وَلا يَنالُ العُلا مَن طَبعُهُ الغَضَبُ

وَمَن يِكُن عَبدَ قَومٍ لا يُخالِفُهُم إِذا جَفوهُ وَيَسترضي إِذا عَتَبوا

إِنَّ الأَفاعي وَإِن لانَت مَلامِسُها عِندَ التَقَلُّبِ في أَنيابِها العَطَبُ[2]

---

(١) ديوان عُبيد بن الأبرص، ص٢٢ - ٢٣.

(٢) شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزيّ، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٥.

- إنَّ الذي يرومُ أن يحوزَ المجد لا بدَّ له أن يترفَّع عن حمل الأحقاد والضَّغائن، ومن أراد السّيادةَ والرياسة فلا بدَّ له أن يكون حليمًا متجرّدًا من خلُق الغضب.

- إنَّ الذي يكون عبدًا لفئةٍ من النَّاس لا يكون لديه مبادئٌ، فيردّد ما يقوله أسياده، وإن انتقلوا من أقصى اليمين إلى أقصى الشّمال، قال الثّعالبيّ: "الحرُّ عبدٌ إذا طمِع"[1] وقال ابن عطاء الله السكندريّ رحمه الله: "ما بسقت أغصان ذلٍّ إلا على بذر طمع"[2] فالعبد الذّليل لا يملك قرارَ مخالفة أسياده حتّى لو أهانوه وأبعدوه، بل إنّه يحرص على رضاهم إذا غضبوا عليه.

- لا تغترّ بالمظهر وتهمل المخبر فصحيحٌ أنَّ الأفاعي ليّنةُ الملمس من الخارج لكنها تحوي في أنيابها السُّمَّ الزُّعاف.

* * *

الأمور دوَلٌ

وقال عنترة بن شدّاد من الطّويل:

يَسُرُّ الفَتى دَهرٌ وَقَد كانَ ساءَهُ ... وَتَخدُمُهُ الأَيّامُ وَهوَ لَها عَبدُ

وَلا مالَ إِلّا ما أَفادَكَ نَيلُهُ ... ثَناءً وَلا مالٌ لِمَن لا لَهُ مَجدُ[3]

- إنَّ هذا الدهر لا يبقى على حالٍ واحدةٍ، كما يقول أبو البقاء الرُّنديّ من البسيط:

هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ ... مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ

---

(١) التّمثيل والمحاضرة، الثّعالبيّ، تح: عبد الفتّاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ص٤١١.

(٢) الحكم العطائيّة، ابن عطاء الله السكندريّ، شرح: ابن عبّاد النَّفزي الرُّندي، مركز الأهرام للتّرجمة والنّشر، القاهرة، الطّبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص٥٦.

(٣) ديوان عنترة بن أبي شدّاد، ص٥٥.

وَهَـذِهِ الـدَّارُ لا تُبقـي عَلـى أَحَـدٍ وَلا يَـدُومُ عَلـى حـالٍ لَهـا شـانُ[١]

فشأن الأمّة في إقبالٍ وإدبارٍ، ويتابع عنترةُ القول إنَّ الأيّام والدُّنيا مُسخَّرةٌ للإنسان، ولكن الإنسان يحرص عليها كالعبيد.

- ثم يقول: المال الحقيقيّ هو الذي يُكسِب الإنسانَ الثناءَ من النَّاس وذلك بكَرمِه، ولا ينفع المال لمن ليس لديه سُمعةٌ حسنةٌ ومجدٌ تليد.

* * *

المظهر والمَخبَر

وقال عنترة بن شداد من الطويل:

وَلَيسَ يَعيبُ السَّيفَ إِخلاقُ غِمدِهِ إِذا كانَ في يَومِ الوَغى قاطِعَ الحَدِّ[٢]

لا يعيب السيفَ إن بلي غطاؤه، إذا كان في الحرب قاطعًا بتَّارًا، فلا يعيب المرءُ قُبح مظهره إن كان جوهرُه سليمًا.

* * *

وَمَن ذا يَرُدُّ المَوتَ

وقال عنترة بن شدَّاد أيضًا من الطَّويل:

١- إِذا كانَ أَمرُ اللهِ أَمرًا يُقَدَّرُ فَكَيفَ يَفِرُّ المَرءُ مِنهُ وَيَحذَرُ

٢- وَمَن ذا يَرُدُّ المَوتَ أَو يَدفَعُ القَضا وَضَربَتُهُ مَحتومَةٌ لَيسَ تَعثُرُ

٣- لَقَد هانَ عِندي الدَّهرُ لَمّا عَرَفتُهُ وَإِنّي بِما تَأتي المُلِمّاتُ أَخبَرُ

٤- وَلَيسَ سِباعُ البَرِّ مِثلَ ضِباعِهِ وَلا كُلُّ مَن خاضَ العَجاجَةَ عَنتَرُ

٥- دَعوني أَجُدَّ السَّعيَ في طلَبِ العُلا فَأُدرِكَ سُؤلي أَو أَموتَ فَأُعذَرُ

---

(١) نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب، بن المقرّيّ التلمسانيّ، تح: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ج٤، ص٤٨٧.

(٢) ديوان عنترة بن شدّاد، ص٥٩.

٦- وَلا تَختَشوا مِمّا يُقَدَّرُ في غَدٍ فَما جاءَنا مِن عالَمِ الغَيبِ مُخبِرُ
٧- وَكَم مِن نَذيرٍ قَد أَتانا مُحَذِّرًا فَكانَ رَسولًا بِالسُّرورِ يُبَشِّرُ[١]

يقول في البيت الأوّل: إنَّ قدَر الله أمرٌ محتَّمٌ لا يمكن الفرار منه، لكن هذا الكلامَ محلُ نظرٍ، فقد ورد في الحديث الشّريف أنّه عندما رفض الفاروق عمر رضي الله عنه الدخولَ على أرضٍ فيها وباء "قَالَ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ"[٢].

ويقول في البيت الثّاني: ومن الذي يستطيعُ ردَّ الموت أو يدفع القضاءَ؟ وضربته مؤكدةٌ لا تخيب.

ويقول في البيت الثّالث: لقد هانت لديَّ المصائب لكثرتها فلم أكترث لها، ولقد خَبِرتُ الدواهي كلَّها وأصبحت بها عليمًا.

ويقول في البيت الرّابع: شتّان بين الأسود وبين الضِّباع، فليس كل من خاضَ الحربَ شجاعٌ.

ويقول في البيت الخامس: اتركوني أغذُّ الخطى في طلب المجد، فأنل ما أريد أو أمت فيعذرني النّاس.

ويقول في البيت السّادس: لا تخافوا من أقدار الغد فلا أحدَ يعلمُ ما في الغيب.
ويقول في البيت السّابع: كم من منذرٍ لنا ومحذّرٍ لنا جاءَ بالأخبار السَّيئة، فتحوَّل هذا النَّذير إلى مُبشِّرٍ بالأخبار الحسنة.

* * *

الوقت

وقال عنترة بن شدّاد من الكامل:

مَن لَم يَعِش مُتَعَزِّزًا بِسِنانِهِ سَيَموتُ مَوتَ الذُلِّ بَينَ المَعشَرِ

(١) ديوان عنترة بن شدّاد، ص٧٨ - ٧٩.
(٢) صحيح البخاري، ص١٤٥١.

لا بُــدَّ لِلعُمــرِ النَّفــيسِ مِــنَ الفَنــا   فَاِصرِف زَمانَـكَ فـي الأَعَـزِّ الأَفخَـرِ[١]

من لم يعش عزيزًا بسلاحه، فسيموت ذليلًا بين قومه، ولا بد للعمر الغالي من الفناء، فإذا كان الأمر كذلك فاصرف وقتك في الأمور الجيّدة النافعة.

* * *

وَخَيرُ آجالِ النُفوسِ قَتلُها

وقال عنترة بن شدَّاد من الرَّجَز:

اليَــومَ تَبلــو كُــلُّ أُنثــى بَعلَهــا   فَــاليَومَ يَحميهــا وَيَحمــي رَحلَهــا

وَإِنَّمــا تَلقــى النُفــوسَ سُــبْلَها   إِنَّ المَنايــا مُــدرِكاتٌ أَهلَهــا

وَخَيــرُ آجــالِ النُفــوسِ قَتلُهــا[٢]

- في يوم الحرب تختبر كلُّ أنثى زوجهَا وتختبر مدى قوَّته ورجولته إذ يحميها ويحمي متاعها.
- وإنَّما تلقى النُّفوسُ الرِّماحَ التي ستقتلها لأنَّ الموت - لا شكَّ - سيدركُ صاحبَه.
- وخيرُ المِيتات هي المِيتةُ قتلًا في الحرب، وفي هذا دليلٌ على الشّجاعة.

* * *

الفرار

وقال عنترة بن شدّاد من البسيط:

وَلا تَفِــرَّ إِذا مــا خُــضتُ مَعرَكَــةً   فَمـا يَزيـدُ فِـرارُ المَـرءِ فـي الأَمَـلِ[٣]

---

(١) ديوان عنترة بن شداد، ص٨٥.

(٢) ديوان عنترة بن شدّاد، ص١١٥.

(٣) ديوان عنترة بن شدّاد، ص١٣٦.

وهذا يذكّرنا بالآية الكريمة القائلة

فسيدركُ الإنسانَ أجلُه حتى لو كان [١] في بيته، وفي هذا قال المثقب العبدي من السريع:

لا يَنفَـــعُ الهـــارِبَ إيغالُـــهُ وَلا يُنَجّـي ذا الحَـذارِ، الحَـذارُ[٢]

فلا ينفع الهاربَ إسراعُه في السير ولا ينجيه الحذرُ من القدر.

* * *

الغربة

وقال عنترة بن شدَّاد من الكامل:

اِحـذَر مَحَـلَّ السَوءِ لا تَحلُـل بِـهِ وَإِذا نَبـا بِـكَ مَنـزِلٌ فَتَحَـوَّلِ[٣]

احذر مكان الإقامة السيئ، ولا تقم فيه أبدًا، وإذا جفاك أهل هذا المكان فانتقل إلى غيره.

* * *

أَترُكُ ما هَويتُ لِما خَشيتُ

وقال بشامة بن الغدير من الوافر:

إذا مـا يَهتَـدي لُبّـي هَـداني وَأَسـأَلُ ذا البَيـان إذا عَميـتُ

وَأَجتَنِـبُ المَقـاذِعَ حَيـثُ كانَـت وَأَتـرُكُ مـا هَويـتُ لِمـا خَـشيتُ[٤]

- إذا كان عقلُ المرء ذا هداية فإنَّ الإنسان يهتدي، ومن الحكمة استشارة الحكماء عند الحَيرة والشّك.

---

(١) آل عمران، ص١٥٤.

(٢) الحماسة البصريّة، ص٧٥.

(٣) ديوان عنترة بن شدّاد، ص١١٩.

(٤) الموشَّى، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة الثّانية، ١٩٥٣م، ص١١.

- ومن الحكمة اجتناب الأسباب التي تؤدّي إلى الهجاء المقذع الفاحش حيث كانت، ومن الحكمة أيضًا مخالفةُ الهوى لِأنّ اتّباعَ النّفسِ الهوى يوردُ المهالك.

* * *

الاقتصاد والإسراف

وقال المتلمّس الضُّبَعي من الوافر:

وَأَعلَمُ عِلمَ حَقٍّ غَيرَ ظَنٍّ وَتَقوى اللهِ مِن خَيرِ العَتادِ

لَحِفظُ المالِ أيسَرُ مِن بُغاهُ وَسَيرٍ في البِلادِ بِغَيرِ زادِ

وَإِصلاحُ القَليلِ يَزيدُ فيهِ وَلا يَبقَى الكَثيرُ مَعَ الفَسادِ[1]

- أعلمُ علم اليقين أنّ تقوى الله من أفضل الذّخائر التي تُدَّخر.
- إنَّ الاقتصاد في الإنفاق أيسر من الكَدِّ وتجشّم المشاقّ في طلب المال.
- إنَّ الاعتدال في النّفقة يزيد في المال، ولا يبقى الكثير من المال مع الإسراف.

* * *

الحقوق والواجبات

وقال المتلمّس الضُّبَعي من الطويل:

فَما النّاسُ إلاّ ما رَأَوا وَتَحَدَّثوا وَما العَجزُ إلا أَن يُضاموا فَيَجلِسُوا[2]

ما النَّاس إلا خبرَتُهم التّاريخية لِمَا مرَّ بهم من أحداث، ولا أحدَ أعجزُ ممّن ظُلم فقعد عن أخذ حقّه، فعندما يتّحد الحقُّ والواجبُ يتركُ أكثرُ النَّاس الواجبَ بزعمهم أنّهم تنازلوا عن حقوقهم!

* * *

(١) ديوان المتلمّس الضُبَعِي، تح: حسن كامل الصيرفيّ، معهد المخطوطات العربية، ١٩٧٠م، ص١٧٢ - ١٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٢.

الظّلم

وقال المتلمِّس الضُبَعِي من الطويل:

وَمَن يَبغِ أَو يَسعى عَلى النَّاسِ ظالِمًا ... يَقَعْ غَيرَ شَكٍّ لِليَدينِ وَلِلفَمِ[١]

إنَّ الذي يظلم النَّاس سيلقى عاقبةَ أعماله إنْ آجلًا وإنْ عاجلًا.

* * *

شرُّ النَّاس

وقال المتلمِّس الضُبَعي من الرَّمَل:

إِنَّ شَرَّ النَاسِ مَن يَكشِرُ لي ... حينَ أَلقاهُ وَإِن غِبتُ شَتَم[٢]

إنَّ شر النَّاس من يبتسم لي حين ألقاه وإن غبت عنه شتمني.

ويشبهه قول أوس بن حجَر من الطويل:

وَلَيسَ أَخوكَ الدائِمُ العَهدِ بِالَّذي ... يَذُمُّكَ إِن وَلّى وَيُرضيكَ مُقبِلا

وَلَكِن أَخوكَ النائي ما دُمتَ آمِنًا ... وَصاحِبُكَ الأَدنى إِذا الأَمرُ أَعضَلا[٣]

ليس أخوك الذي يشتمك في غيابك، ويرضيك إذا حضر إليك، لكنَّ أخاك هو الذي يكون بعيدًا عنك عندما تكون أمورك على ما يرام، ويكون الأدنى منك عندما تقع في المصائب والمشكلات، وليس كما يحدث اليومَ إذ تكون صداقة أغلب الأصدقاء للمصلحة البحتة.

* * *

الحَسَبُ الرَفيعُ

وقال أوس بن حجر من الوافر:

---

(١) الحماسة، أبو عبادة البحتريّ، تح: محمد إبراهيم حُوَّر، أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠٠٧م، ص٢٣٨.

(٢) العين، الفراهيديّ، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائيّ، دار ومكتبة الهلال، ج:٥، ص٢٩١.

(٣) ديوان أوس بن حجَر، تح: محمد يوسف نجم، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٠م، ص٩٢.

إِذا الحَسَبُ الرَّفيعُ تَواكَلَتْهُ بُناةُ السوءِ أَوشَكَ أَن يَضيعا[(١)]

إذا أُسند الحسب الكريم إلى أبناءَ سيئين، فإنَّه يكاد أن يضيع.

* * *

وما يُدريك!

وقال أوس بن حَجَر من الطَّويل:

وَلَيسَ يُعابُ المَرءُ مِن جُبنِ يَومِهِ وَقَد عُرِفَت مِنهُ الشَّجاعَةُ بِالأَمسِ[(٢)]

فليس بصحيح أنَّ نهدمَ كلَّ ما بناه المرءُ عند أوّل خطأ وهذا يذكرنا بقصة الصحابي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه فقد أرسل رسالةً إلى المشركين الكفّار يحذّرهم فيها من غزوة قادمة للمسلمين لفتح مكّة، فاكتُشف أمره "فَقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، دَعْنِي أضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنَافِقِ، فَقالَ: إنَّه قدْ شَهِدَ بَدْرًا، وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ علَى مَن شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ!"[(٣)].

* * *

الجهالة والفحش

وقال أوس بن حَجَر من الطَّويل:

إِذا أَنتَ لَم تُعرِض عَنِ الجَهلِ وَالخَنا أَصَبتَ حَليمًا أَو أَصابَكَ جاهِلُ[(٤)]

إذا أنت لم تبتعد عن الجهالة والسَّفه والفحش أصبتَ الحليمَ البريء الذي لا يستحق الذمّ، أو أصابك جاهلٌ فسبَّك وأفحش لك القول.

* * *

(١) ديوان أوس بن حجَر، ص٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٢.

(٣) صحيح البخاري، ص١٠٤٦.

(٤) ديوان أوس بن حجر، ص٩٩.

بَنِيَّ ومالي

وقال أوس بن حجر من الطّويل:

بَنِيَّ وَمالي دونَ عِرضي مُسَلَّمٌ   وَقَولي كَوَقعِ المَشرَفِيِّ المُصَمِّمِ[(١)]

إنني أدفع عن شرفي ومجدي بالمال وبالبنين حتّى يسلمَ شرفي، وإنَّ قولي كوقع السيوف إذا مرَّت على العظم قطَعَتْهُ.

* * *

التدبّر

وقال المُثقَّب العبدي من الطَّويل:

إِذا ما تَدَبَّرتَ الأُمورَ تَبَيَّنَت   عِيانًا صَحيحاتُ الأُمورِ وَعُورُها[(٢)]

إنَّ التَّدبَّر والتفكّر في الأمور يُظهر الأمور الصَّحيحة العريّة من العيوب، والأمور الزائفة صاحبة العورات. وفي هذا المعنى قال أيضًا من البسيط:

إِنَّ الأُمورَ إِذا اِستَقبَلْتَها اِشتَبَهَت   وَفي تَدَبُّرِها التِّبيانُ وَالعِبَرُ[(٣)]

فإنَّ بعض الأمور تكون غائمةً في بداياتها، وفي نهاياتها البيان والعِبَر.

* * *

التوعّد

وقال المُثَقَّب العبديّ من الوافر:

أَلا مِن مُبلِغٌ عَدوانَ عَنّي   وَما يُغني التَوعُّدُ مِن بَعيدِ[(٤)]

---

(١) ديوان أوس بن حجر، ص١٢٤.

(٢) التذكرة الحمدونيّة، ابن حمدون، تح: إحسان عبّاس وبكر عبّاس، دار صادر، بيروت، الطّبعة الأولى، ص٣١٣.

(٣) الحماسة، أبو عبادة البحتري، ص٣١٨.

(٤) جمهرة الأمثال، ج٢، ص١٦٧.

إنَّ التَّوعّد بالقتل من بعيد دون الدخول إلى أرض المعركة لا يضرُّ الذي يتوعدُه.

* * *

إن المنية بالفتيان ذاهبةٌ

وقال ابن الذئبة وهو ربيعة بن عبد ياليل من البسيط:

إنَّ المنيـــــة بالفتيـــــان ذاهبـــــةٌ ولـــــو توقَّاهـــــا بأســـــيافٍ وأدراعِ

بينـا الفتـى يبتغـي مـن عيـشه سـددًا إذ حـان يومًـا فنـادى باسـمه الـدَّاعِي

لا تجعـل الهـم غِـلًا لا انفـراج لـه ولا تكـونـنَّ سـؤومًا ضـيق البـاعِ[1]

- إنَّ الموت قادمٌ وذاهبٌ بالفتى ولو حاول اتقاءه بالسيوف والدروع.
- بينما يبتغي المرء أن يكسبَ ما يقوّم معيشته سيأتي يومُه ودورُه حين يُقبَض.
- لا تجعل الهمَّ قيدًا مربوطًا إلى عنقك، ولا تكن كثير السَّأم بخيلًا.

* * *

دَعِ الباطِلَ

قال عدي بن زيد العِباديّ من الرمَل:

فـــدَعِ الباطِـــلَ واعمِـــد لِلتُّقـــى وتُقَـــى رَبِّـــكَ رَهـــنٌ لِلرَّشَـــد

وقُـــلِ المَعـــرُوفَ فـــيمَن قَالَـــهُ وامـنَعَنْ نَفـسَكَ مِـن قيـلِ الفَنَـد[2]

- اترك الباطل والزم التقوى، فالتقوى قرينة الرّشاد والحكمة.
- وقل المعروف، وامنع نفسك من قول الكذب.

* * *

(١) معجم من نُسبوا إلى أمهاتهم، د. فؤاد صالح السيّد، الشركة العالميّة للكتاب، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٢٤.

(٢) ديوان عدي بن زيد العبادي، تح: محمد جبَّار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥م، ص٤٣.

وصايا عدي بن زيد العِبادي

وقال عدي بن زيد العِبادي من الطويل:

١ - أَعـاذِلُ إِنَّ الجهـلَ مِـن ذِلَّـةِ الفَتَـى ... وإنَّ المنايـا للرجـالِ بِمَرصَـد

٢ - أَعـاذِلُ ما أَدنَى الرَّشادَ مِنَ الفتَى ... وأَبعَـدَهُ مِنـهُ إذا لَـم يُـسدَّدِ

٣ - أَعـاذِلُ مَـن تُكتَـب لَـهُ النَّـارُ يَلقَهـا ... كِفَاحًـا ومَـن يُكتَـب لَـهُ الفَـوزُ يَـسعَدِ

٤ - أَعـاذِلُ مـا يُـدرِيكَ إلاَّ تَظَنُّنًـا ... إلى ساعةٍ في اليومِ أو في ضُحَى الغَدِ

٥ - أَعـاذِلُ مَـن لا يُصلِح النَّفسَ خاليًـا ... عَـنِ الَحـيّ لا يَرشُـد لِقَـولِ الُمفَنِّـدِ

٦ - كَفَـى زاجِـرًا لِلمَـرءِ أَيَّـامُ دَهـرِه ... تَـروحُ لَـهُ بالواعِظـاتِ وتَغتَـدي

٧ - فَنفسَكَ فاحفَظها مِنَ الغَيّ والخَنَى ... مَتَـى تُغوِهـا يَغـوَ الَّـذي بِـكَ يَقتَـدي

٨ - وإن كانَـتِ النَّعمـاءُ عِنـدكَ لِامـرِئٍ ... فَمِـثلًا بهـا فـاجزِ المُطالِـبَ وَازدَدِ

٩ - إذا أَنـتَ لَـم تَنفَـع بِـوِدِّكَ أَهلَـهُ ... ولَـم تُنـكِ بالبُؤسَـى عَـدُوكَ فابعِـدِ

١٠ - إذا مَا امرؤٌ لَـم يَرجُ مِنكَ هَوادَةً ... فـلا تَرجُهـا منـهُ ولا حِفـظَ مَـشهَدِ

١١ - إذا أَنتَ فاكَهتَ الرِّجالَ فلا تَلَعْ ... وقُـل مِثلَمـا قـالُوا ولا تَتَزَنَّـدِ

١٢ - إذا أَنـتَ طالَبـتَ الرِّجـالَ نَـوالَهُم ... فَعِـفَّ ولا تَـأتي بِجَهـدٍ فتُنكَـدِ

١٣ - وإِيَّـاكَ مِـن فَـرطِ المـزاحِ فإِنَّـهُ ... جَـديرٌ بَتـسفيه الحَلـيمِ المـسَدَّدِ

١٤ - سَتُدرِكُ مِن ذي الفُحشِ حَقَّكَ كلَّهُ ... بِحِلمِـكَ فـي رِفـقٍ ولَمَّـا تَـشَدَّدِ

١٥ - وَراجـي أُمـورٍ جَمَّـةٍ لَـن يَنالَهـا ... سَتُـشعِبُه عَنهـا شَـعوبٌ لِمُلحَـدِ

١٦ - ولا تُقصِرن عَن سَعي ما قَد وَرِثتَهُ ... ومَا اسطَعت مِن خَيرٍ لَنفسِكَ فازدَد

١٧ - وَعَـدِّ سِـواهُ القَـولَ واعَلَـم بأَنَّـهُ ... مَتَى ما يُبِن في اليَومِ يَصرِمكَ في غَدِ

١٨ - عَنِ المرءِ لا تَسأَل وسَل عَن قَرينِه ... فكُـلُّ قَـرينٍ بالُمقـارَنِ يَقتَـدي

١٩ - فـإِن كـانَ ذا شَـرٍّ فَجَانِبـهُ سُـرعَةً ... وإن كـانَ ذا خَيـرٍ فقارِنـهُ تهتَـدي

٢٠- إذا ما رأيتَ الشَّرَّ يبعثُ أهلَهُ وقامَ جُناةُ الشَّرّ للشَّرّ فاقعُدِ

٢١- إذا كنتَ في قومٍ فصاحِب خيارَهُم ولا تصحَبِ الأردَى فتردى معَ الرَّدي

٢٢- وبالعَدلِ فانطِق إن نَطَقتَ ولا تَلُم وذا الذَّمّ فاذمُمهُ وذا الحمدِ فاحمَدِ

٢٣- ولا تُلحِ إلاَّ مَن ألامَ ولا تَلُم وبالبَذلِ مِن شَكوى صَديقِكَ فامدُدِ

٢٤- عَسَى سائلٌ في حاجَةٍ إن مَنَعتَهُ مِنَ اليَومِ سُؤلًا أن يَسُوءَكَ في غَدِ

٢٥- ولِلخَلقِ إذلالٌ لِمَن كانَ باخِلًا ضَنينًا ومَن يَبخَلْ يُذَلَّ ويُزهَدِ

٢٦- وأبدَت ليَ الأيَّامُ والدَّهرُ أنَّهُ فَأرَّختُ مَن لا يُصلح الأمر يُفسِدِ

٢٧- ولاقَيتُ لَذَّاتِ الفتَى وأصابَني قَوارِعُ مَن يَصبِر عَلَيها يُخَلَّدِ

٢٨- ومَن لَم يَكُن ذا ناصِرٍ عِندَ حَقّه يُغَلَّب عَلَيهِ ذُو النَّصيرِ ويُضهَدِ

٢٩- وفي كَثرَةِ الأيدي عَنِ الظُّلمِ زاجِرٌ إذا حَضَرَت أيدي الرِّجالِ بِمَشهَدِ

٣٠- وَللأمرُ ذو الَميسُورِ خَيرٌ مَغَبَّةً مِنَ الأمرِ ذي المعسُورَةِ الُمتَردِّدِ[١]

يقول الشاعر في البيت الأوّل: يا عاذلي إنَّ الجهالة والسَّفه ليست من العزّة في شيء، بل هي من ذلَّة المرء، والمنايا تترصّد للإنسان في كل لحظة.

ويقول في البيت الثَّاني: إنَّ القُرب والبعد عن الرشّاد والحكمة مرهونٌ بتوفيق الله عزّ وجل، وفي هذا قال أمير الْمُؤمِنِينَ عليّ رضي الله عنه:

إذا لم يكنْ عونٌ من الله للفتى فأولُّ ما يجني عَلَيْهِ اجْتِهَادُه[٢]

ويقول في البيت الثَّالث: يا عاذلي، إنَّ مُن يُكتب عليه الدُّخول في النَّار فسيدخلها ويقابلها وجهًا لوجه، ومن تُكتب له الجنَّة يَسعد، وفي هذا قال تعالى:

.[٣]

ويقول في البيت الرَّابع: يا عاذلي، ليس لنا من العلم إلا اتباعَ الظّنّ.

---

(١) ديوان عدي بن زيد العِبادي، ص١٠٣ حتى ١٠٨.

(٢) الفرج بعد الشدّة، القاضي التنوخيّ، تح: عبود الشالجيّ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ج١، ص١٧٧.

(٣) آل عمران، ص١٨٥.

ويقول في البيت الخامس: يا عاذلي، إنّ من لا يصلح نفسَه في السّرّ، لن يهتدي ويزدجر بِلَوم اللائم له، فالتقوى ذاتيّة تنبع من القلب.

ويقول في البيت السَّادس: كفى مانعًا للمرء أيامُ عمره التي تأتيه بالعِظات عند شروق الشَّمس وعند الغروب.

ويقول في البيت السَّابع: احفظ نفسك من قول الفحش وعمله، فإنَّك على ثغرة من ثغور الأمة، يضِلُّ من يقتدي بك إذا ضللتَ.

ويقول في البيت الثَّامن: وإنْ أحدٌ من النّاس تفضّل عليك بعطاءٍ، فقابله بمثل ما قابلك من العطاء، بل وزِد له في هذا العطاء وأجزل.

ويقول في البيت التَّاسع: إذا أنت لم توَد أرحامك وأقاربك، ولم توقع النّكاية بأعدائك فلا قيمة لك ويُنسب هذا البيت لِطرفة بن العبد كما مرّ بنا في عنوان (عَنِ المَرءِ لا تَسأَل).

ويقول في البيت العاشر: إذا المرء لم يطلب منك النفعَ خوفًا منكَ وتهيّبًا فلا تطلب ولا ترجُ منه شيئًا.

ويقول في البيت الحادي عشر: إذا أنت مازحت النّاس فلا تتضجّر، وقل مثلما قالوا ولا تغضب.

ويقول في البيت الثَّاني عشر: إذا أنت طالبت من النّاس العطاء فعُفَّ ولا تطلبُ الغايةَ منه فتتعسَّر أمورُك ويمنعونك العطاءَ جملةً.

ويقول في البيت الثَّالث عشر: إياك من الإفراط في المِزاح فإنّه يؤدي إلى تسفيه عقل الحليم الرَّشيد.

ويقول في البيت الرَّابع عشر: ستأخذ حقك من الذي أفحش لك في الكلام، وذلك بالحِلم عليه، ومعاملته بغير تشدّد.

ويقول في البيت الخامس عشر: رُبَّ راجٍ لأمور لا يستطيع نيلها، ستصرفه عن هذه الأمور المنيةُ وتودعه اللحْدَ.

ويقول في البيت السَّادس عشر: لا تقصِر همّتَك عن الحفاظ على ما ورثْتَه من آباءك، وتزوّد من الخير ما استطعتَ فإنَّه خير ذُخرٍ.

ويقول في البيت السَّابع عشر: اصرف قولك عن صاحبك، واعلم أنَّه متى ما يجفيك اليومَ سيقطع علاقته بك غدًا.

ويقول في البيت الثَّامن عشر: لا تسأل عن المرء بل اسأل عن أصحابه، فكل صديق يقتدي بصديقه.

ويقول في البيت التَّاسع عشر: فإن كان صاحبُك صاحبَ شرٍّ فابتعد عنه بسرعة، وإن كان صاحبَ خيرٍ فصاحبه تجد الهدى.

ويقول في البيت العشرين: إذا رأيت الشّرّ يجمع أهله، وقام أصحابه لفعله فاقعد ولا تفعل فعلهم، وابتعد عنهم.

ويقول في البيت الحادي والعشرين: إذا كنت مع النّاس فصاحب أخيَرهم، ولا تصاحب الرديء منهم فتصبح مثلُه رديئًا.

ويقول في البيت الثَّاني والعشرين: انطق بالعدل إذا نطقت، ولا تأتِ ما تُلام عليه، واذمم الذي يستحق الذمّ، واحمد الذي يستحقّ المدح.

ويقول في البيت الثَّالث والعشرين: لا تشتم إلا من فعل أشياءَ يُلام عليها ويؤاخذ بها، ولا تقم أنت بالأشياء التي من الممكن أن تُلام عليها، وابذل عطاءك عندما يشتكي صديقُك.

ويقول في البيت الرَّابع والعشرين: عسى إن منعتَ سائلًا من عطاءك أن يمنع عطاءك غدًا عندما تفتقر.

ويقول في البيت الخامس والعشرين: والخلقُ يُذِلُّون البخيلَ الضّنين، وهذا شأن البخلاء أن يُذلَّهم النَّاس ويزهدوا فيهم.

ويقول في البيت السَّادس والعشرين: لقد علَّمتني الأيَّام أن من لا يُصلِح فهو حتمًا سيُفسِد.

ويقول في البيت السَّابع والعشرين: لقد لقيت لذَّات الشَّباب، وأصابتني المصائب الشَّديدة التي تقرع، ولشدَّة هذه الدواهي أقول إنَّ من يصبر عليها يخلّد في الجنَّة.

ويقول في البيت الثَّامن والعشرين: من قلَّ من يناصره في أخذ حقّه، فسيغلبه أصحاب النُصرة والمَنَعة، وسيظلمونه.

ويقول في البيت التَّاسع والعشرين: إنَّ كثرة الرّجال تحجز عن الظُّلم وتزجر مرتكبيه، وإذا وقعت الحرب، فالاستعداد للحرب يمنع الحرب، لذلك قال الله تعالى:

.[1]

ويقول في البيت الثلاثين: إنَّ الأمور تسهل مع صاحب اليسر، وتصعب مع صاحب العسر.

* * *

أماويُّ

وقال حاتم الطائيّ من الطّويل:

١- أَمـاوِيُّ إِنَّ المـالَ غـادٍ وَرائِـحٍ	وَيَبقى مِنَ المالِ الأَحاديثُ وَالذِّكرُ
٢- أَمـاوِيُّ إِنّـي لا أَقـولُ لِسائِلٍ	إِذا جاءَ يَومًا حَلَّ في مالِنا نَزرُ
٣- أَمـاوِيُّ إِمّـا مـانِعٌ فَمُبَـيَّنٌ	وَإِمّا عَطاءٌ لا يُنَهنِهُهُ الزَّجرُ
٤- أَماوِيُّ ما يُغني الثَّراءُ عَنِ الفَتى	إِذا حَشرَجَت نَفسٌ وَضاقَ بِها الصَّدرُ
٥- تَري أَنَّ ما أَهلَكتُ لَم يَكُ ضَرَّني	وَأَنَّ يَدي مِمّا بَخِلتُ بِهِ صَفرُ[2]

يقول حاتم في البيت الأوّل: يا زوجتي، ماويّة، إنَّ المال ذاهبٌ وآتٍ، ويبقى من المال ثناء النّاس الحسن على الكريم.

ويقول في البيت الثّاني: يا ماويّة، إنّي لا أقول لطالب حاجة إذا جاء: إنَّ مالَنا قليلٌ شحيحٌ.

---

(١) الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ١٩٨١م، ص٥٠.

ويقول في البيت الثَّالث: إذا منعتُ السّائل فإنما أُبيّن له سبب منعي عطائي له، وإمَّا أن أعطيه عطاءً جميلًا لا يقترن باللوم والمنّ.

ويقول في البيت الرَّابع: إنَّ الغنى لا يُغنى عن المرء إذا غرغرت روحه، وتردَّدت في صدره، وضاقت به إذ تخرج.

ويقول في البيت الخامس: عند الموت ستعرفين يا زوجتي أنَّ ما أنفقتُه كرمًا لم يضرّني عند الموت، وأنّ رصيدي مما بخلت به في حياتي صفرٌ عند موتي، لا ينفعني.

* * *

البطن والفرج

وقال حاتم الطائيّ من الطّويل:

وَإِنَّكَ مَهما تُعطِ بَطنَكَ سُؤلَهُ ... وَفَرجَكَ نالا مُنتَهى الذَمِّ أَجمَعا[1]

إنَّك عندما تُعطي بطنك ما يريد من الطَّعام وفرجَكَ ما يريد من الشَّهوة، فإنك ستنال أقبح الذمّ ومنتهاه.

* * *

وَإِنّي لَمَجزِيٌّ

وقال حاتم الطائيّ من الطّويل:

وَإِنّي لَمَذمومٌ إِذا قيلَ حاتِمٌ ... نَبا نَبوَةً إِنَّ الكَريمَ يُعَنَّفُ

وَإِن ظَلَموهُ قُمتُ بِالسَيفِ دونَهُ ... لَأَنصُرَهُ إِنَّ الضَعيفَ يُؤَنَّفُ

وَإِنّي لَمَجزِيٌّ بِما أَنا كاسِبٌ ... وَكُلُّ اِمرِئٍ رَهنٌ بِما هُوَ مُتلِفُ[2]

- إنّي سأُذمّ إذا قيل إنَّ حاتمًا بَعُد عن الكرم، لأنَّ العزيز والكريم يؤاخذ عند أوّل هفوة، لأنَّ النَّاس تعودوا منه الكرم.

---

(١) ديوان حاتم الطائي، ص٦٨.

(٢) ديوان حاتم الطائي، ص٧١.

- وإن ظلموا الضَّعيف قمت بالسَّيف لأحميَه، وأنصره، لأن شأن الضَّعيف أن يُظلم ويُكرَه ويُضرَب على أنفه.

- وإنّي سأنال الجزاء الحسن عند الله بما أنفقت على عياله، وكل امرئٍ متعلِّقٌ بما أنفق من مالٍ.

* * *

أخو الحزم

وقال تأبّط شرًا من الطَّويل:

إِذا المَرءُ لَم يَحتَل وَقَد جَدَّ جَدُّهُ أَضاعَ وَقاسى أَمرَهُ وَهوَ مُدبِرُ

وَلكِن أَخو الحَزمِ الَّذي لَيسَ نازِلًا بِهِ الأَمرُ إِلّا وَهوَ لِلأَمرِ مُبصِرُ[1]

- إذا المرء لم يكن حصيفًا عاقلًا عندما تتاح له الفرصة، ولم يستفد من الدنيا في إقبالها، أضاع أمره ومجدَه عندما تكون الدنيا في إدبار.

- ولكنَّ صاحبَ الحزم هو الذي لا تثنيه المصائب عن تبصّر الأمور.

* * *

الجود والكرم

يقول عبيد بن عبد العزّى السَّلاميّ من الطَّويل:

أَعاذِلَ إِنَّ الجودَ لا يَنقصُ الغَنيَّ وَلا يَدفَعُ الإِمساكُ عَن مالِ مُكثِرِ

أَلَم تَسأَلي وَالعِلمُ يَشفي مِنَ العَمى ذَوي العِلمِ عَن أَنباءِ قَومي فَتُخبَري[2]

- يا عاذلتي ولائمتي، إنَّ الكرمَ لا يُنقص مالَ الغنيّ، ولا يحمي البخلُ مالَ الثريّ.

- اسألي ذوي العلم عن أخبار قومي وأمجادهم، لأنَّ العلمَ يشفي من العمى.

* * *

(١) ديوان تأبط شرًا، تح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤م ص٨٦ - ٨٧.

(٢) منتهى الطلب من أشعار العرب، محمد بن المبارك، تح: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ج: ٨، ص٢٨٨.

وَخيرُ خلالِ المرءِ

قالت حكيمة العرب جمعة بنت الخُسّ من الطّويل:

١- أَشدّ وجوهِ القولِ عندَ ذوي الحِجا مَقالــةُ ذي لــبٍّ يقــول فيــوجِزُ

٢- وَأَفــضلُ غُــنمٍ يُــستفاد وَيُبتغــى ذَخيــرةُ عقــلٍ يحتويهــا ويحــرِزُ

٣- وَخيرُ خلالِ المرءِ صدقُ لسانِهِ وَلِلــصّدقِ فَــضلٌ يــستبين ويبــرزُ

٤- وَإِنجازُك الموعودَ مِن سَبب الغِنى فَكُــن موفِيًــا بِالوعــدِ تُعطــي وتنجِــزُ

٥- وَلا خيرَ فـي حـرّ يريـكَ بـشاشةً وَيَطعــنُ مِــن خَلــفٍ عليــكِ ويلمِــزُ

٦- إذا المرءُ لم يسطعْ سياسةَ نفسِه فــإنَّ بــه عــن غيرهــا هــو أعجَــزُ

٧- وكمْ مِنْ وقورٍ يقمعُ الجهلَ حلمُه وآخرُ من طيشٍ إلى الجهلِ يجمِزُ

٨- وكمْ مِنْ أصيلِ الرأيِ طلقٌ لسانُه بــصيرٌ بحــسنِ القــولِ حــينَ يميّــزُ

٩- وآخــرَ مــأفونٌ يلــوكُ لــسانهُ ويعجــنُ بــالكوعينِ نُوكًــا ويَخبِــزُ

١٠- وكمْ مِنْ أخي شرٍّ قد أوثق نفسَه وآخــرُ ذخــرَ الخيــرِ يحــويْ ويكنــزُ

١١- يفرّ الفَتى وَالموتُ يطلبُ نفسَه سَــيدركه لا شــكّ يومًــا فيُجهِــزُ

نأتي إلى شرح الأبيات:

١- أَشدّ وجوهِ القولِ عندَ ذوي الحجا مَقالــةُ ذي لــبٍّ يقــول فيــوجزُ

أفضل الأقوال عند العقلاء، مقالُ العاقل الذي يقول فيوجز، ولذلك قيل: البلاغة في الإيجاز.

٢- وَأَفــضلُ غُــنمٍ يُــستفاد وَيُبتغــى ذَخيــرة عقــلٍ يحتويهــا ويحــرزُ

إنَّ من أفضل المكاسب التي تُطلب، عقلٌ لبيبٌ.

٣- وَخيرُ خلالِ المرءِ صدقُ لسانِهِ وَلِلــصِّدقِ فَــضلٌ يــستبين ويبــرزُ

إنَّ أفضلَ أخلاقِ وصفات المرء الصَّدقُ، فالصّدق هو واسطة العقد، وخير الأخلاق.

٤- وَإنجازك الموعودَ مِن سَببِ الغِنى فَكُن موفِيًا بِالوعدِ تُعطي وتنجزُ

إنَّ الوفاء بالوعود من أسباب الغنى، فكن موفيًا بالوعد تلتزمُ الوفاء بكلمتك.

٥- وَلا خيرَ في حرّ يريكَ بشاشةً وَيَطعنُ مِن خَلفٍ عليكِ ويلمزُ

ولا خيرَ في رجلٍ حرٍّ يُظهر لك البِشر والابتسام في وجهك، ثم يطعنك في ظهرك ويشتمك ويغتابك.

٦- إذا المرء لم يسطع سياسةَ نفسِه فإنَّ به عن غيرها هو أعجزُ

إذا لم يستطع المرءُ تربيةَ نفسه، والتغلُّبَ على شهواتها، فإنّه عن قيادة غيره أعجز.

٧- وكم من وقورٍ يقمعُ الجهلَ حلمُه وآخر من طيشٍ إلى جهلٍ يجمزُ

كم من إنسان وقورٍ عاقلٍ يمنعُ حلمُه من الجهل والسفاهة، وكم من إنسان آخر يجري إلى الطَّيشِ والجهالة.

٨- وكم من أصيلِ الرأي طلق لسانه بصير بحسن القول حين يميِّزُ

هنالك علاقةٌ وثيقةٌ بين أصالة الرأي وجَودته وبين طلاقة اللسان في الحقّ والحكمة.

٩- وآخر مأفونٌ يلوك لسانَه ويعجنُ بالكوعين نوكًا ويخبزُ

وكم من إنسانٍ أحمقَ يشتم أعراض النَّاس ويقع فيهم، حتى صار الحمقُ والسَّفه خبزه اليوميُّ فهو يعجن ويخبز.

١٠- وكم من أخي شرٍّ قد أوثق نفسَه وآخر ذخرَ الخير يحوي ويكنزُ

وكم من إنسانٍ شرّير قد قيّدته شهواته حتى أصبح عبدًا لها، وكم من إنسانٍ خيِّرٍ يُسارع في الخيرات، ويدّخرها.

١١- يفرّ الفَتى وَالموتُ يطلب نفسَه سَيدركه لا شكّ يوماً فيجهزُ

يظنّ المرءُ أنَّه يستطيع الفِرارَ من الموت، لكن الموت سيلحق به ويجهز عليه.

قال تعالى: .[١][٢]

* * *

حِكَم هند بنت الخُسّ

قالت هند بنت الخُسّ من الطويل:

١- ولَيسَ الفَتى عندي بشيءٍ أعدّه ... إذا كانَ ذا مالٍ من العقلِ مفلسُ

٢- وذو الجُبن مما يُسعِرُ الحربَ نفخُه ... يُهيّج منها نارَها ثم يخنُسُ

٣- وَكَم مِن كثيرِ المالِ يقبضُ كفَّه ... وَكَم مِن قليلِ المال يعطي ويسلَسُ

٤- وكم من صغيرٍ نزدريه لعلّه ... يُهيج كبيرًا شرُّه متبجِّسُ

٥- وكم من مُراءٍ ذي صلاحٍ وعفَّةٍ ... يختال بالتَّقوى هو الذّئبُ الأملسُ

٦- وآخرُ ذي طمرينِ صاحبُ نيّةٍ ... يجودُ بأعمالِ التُّقى ثمّ ينفِسُ

٧- وَكَمْ مِنْ سفيهٍ لِلجماعةِ مفسدٍ ... يَدبّ لشرٍّ بينهم ويوسوسُ

٨- وذو الظلم مذمومُ الثّنا ظاهرُ الخنا ... غنيٌّ عن الحُسنى وبالشّر يعرِسُ[٣]

والآن نأتي إلى الشرح:

١- لا قيمة للمرء إذا كان غنيًا لكنَّه خليٌّ عن العقل.

٢- إنَّ الجبان هو الذي ينفخ في نار الحرب لتشتدّ ثم يهرب منها.

٣- كم من إنسانٍ غنيّ لكنّه بخيلٌ، وكم من إنسانٍ فقيرٍ لكنّه كريمٌ سهلٌ.

٤- كم نستخفُّ بالإنسان المغمور، ولكنَّ هذا المغمور قد يغضب ويتغلّب على الإنسان عظيم الشرّ.

---

(١) الجمعة، الآية: ٨.

(٢) بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، شرح: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م، ص٦٢.

(٣) بلاغات النساء، ص٦٣.

٥- كم من إنسانٍ مخادعٍ يبدو عليه الصَّلاح والعفّة، وهو كالذئب الأملس وهو ذئبٌ مشهورٌ بالخداع.

٦- وكم من إنسانٍ بالي الثّياب، معدِم، لكن له نيةٌ صالحةٌ، وأعمالٌ صالحة، ويفرّج كروبَ المكروبين.

٧- وكم من إنسانٍ سفيهٍ يفسد الجماعة، ويحثُّهم على الشَّر ويحرِّضهم عليه.

٨- إنَّ الإنسانَ صاحبَ الظلمِ يذمُّ الناسُ أخبارَه لأنّه بَيّنُ الفحشِ، وهو بعيد عن الخير، ملازِمٌ للشرّ.

* * *

الدنيا كأحلام نائمٍ

وقالت جمعة بنت الخُسّ:

١- رأيت بنيْ الدنيا كأحلامِ نائمٍ ... وكالفيءِ يدنو ظلُّهُ ثمّ يقلِصُ

٢- وكلُّ مقيمٍ في الحياةِ وعيشُه ... بلا شكّ يومًا أنّه سوفَ يشْخَصُ

٣- يفرّ الفتَى من خشيةِ الموتِ والردى ... وللموتِ حتْفُ كلِّ حيّ سيغفِصُ

٤- أتاهُ حِمامُ الموت يَسعى بحتفِهِ ... وقد كان مغرورًا بدنيا تربصُ

٥- كأنَّك في دار الحياة مخلَّدٌ ... وقد بان منها من مضى وتُقنِّصُوا

٦- لقد أفسدَ الدنيا وعيشَ نعيمِها ... فجائعُ تترى تعتري وتنغِّصُ

٧- الإربُ مرزوقٌ بغير تكلِّفٍ ... وآخر محرومٌ يجدُّ ويحرِصُ[1]

ونأتي الآن إلى الشرح:

١ - رأيتُ سرعة زوال أبناء الدنيا كأحلام نائمٍ، وكالفيء يهبطُ ظلّهُ ثُمَّ يرتفع.

٢- كلُّ حيٍّ على وجه هذه المعمورة، بلا شكّ أنّه سوف يموت.

٣- يهرب الفتى من خشية الموت، والموت سيفجأه ويقف له بالمرصاد.

---

(١) بلاغات النساء، ص٦٣.

٤- أتى الموتُ يريد أن يأخذَ روح الفتى الذي كان مخدوعًا بدنيا تنتظرُه.

٥- تتصرّف أيُّها الإنسان وكأنّك مُخلَّد في الحياة، وقد فارق الحياةَ من مضى وصِيدوا.

٦- هذه الكوارث التي تحل على الإنسان أفسدت نعيمَ الدنيا، ونغصت المعيشة.

٧- إنَّ البخيل يُرزَق بغير تعبٍ، وقد يكون هنالك آخرُ محرومٌ من الرّزق يجِدّ في طلب الرّزق ولا يناله، ومعنى هذا البيت اعتراض على قدر الله ولا يصحّ وقد قال تعالى: [1].

* * *

أخو الدنيا

وقالت هند بنت الخُسّ:

١- وكم من أخي دنيا يثمّرُ مالَه ... سيورِث ذاك المالَ رغمًا ويتركُ

٢- عليك بأفعال الكرامِ ولينِهم ... ولا تكُ مشكاسًا تلجُّ وتمحكُ

- كم من محبٍّ للدنيا ينمّي مالَه، سيورّث هذا المال رغمًا عنه ويتركه.

- الزم أفعال الكرام من لين العريكة والسهولة، ولا تكن صعبَ الخُلُق مخاصمًا لجوجًا صعب المراس[2].

* * *

ما لا يدرك كلّه لا يترك جُلّه

وقال الأعشى من الطويل:

إذا حاجَةٌ وَلَّتكَ لا تَستَطيعُها ... فَخُذ طَرَفا مِن غَيرِها حينَ تُسبَقُ

فَذَلِكَ أَحرى أَن تَنالَ جَسيمَها ... وَلَلقَصدُ أَبقى في المَسيرِ وأَلحَقُ[3]

---

(١) الإسراء، الآية: ٢٠.

(٢) بلاغات النساء، ص٦٤.

(٣) حماسة البحتري، ص٤٦٤.

إذا فاتت منك حاجةٌ ولم تستطع لَحاقها، فابتغ حاجةً غيرهَا، فإنَّ هذه الطريقة تمكنّك من أن تنالَ جسيمات الأمور، وأقصدُ لجُهدك، وألحقُ.

* * *

حبالُ الهُوَينا

قال الكلحبة العرنيّ الطويل:

أَمَــرتُكُمُ أَمــري بِمُنعَــرَجِ اللِّــوى ... وَلا أَمــرَ لِلمَعــصِيّ إِلّا مُــضَيَّعا

إِذا المَرءُ لَـم يَغشَ الكَريهَةَ أَوشَكَت ... حِبـالُ الهُوَينـا بِـالفَتى أَن تَقَطَّعـا[1]

- لقد أمرتكم أمري، ولكنَّكم لم ترقبوا قولي، وما أمرُ الذي يُعصى إلا ضائعٌ.

- إذا لم يدخل المرءُ الحروبَ، أوشكت حبال اللين أن تتقطع وهذا كناية عن شدّة الضعف والتشبّه بالنساء.

* * *

هَل لِلفَتى مِن بَناتِ الدَّهرِ مِن واقِ

قال الممزّق العبديّ من البسيط:

١- هَل لِلفَتى مِن بَناتِ الدَّهرِ مِن واقِ ... أَم هَل لَهُ مِن حِمَامِ المَوتِ مِن رَاقِ

٢- قَد رَجَّلُونِيَ وَما رُجِّلتُ مِن شَعَثٍ ... وَأَلبَسُونِي ثِيابًا غَيرَ أَخلاقِ

٣- ورَفَعوني وَقالوا أَيُّما رَجُلٍ ... وَأَدرَجوني كَأَنّي طَيُّ مِخراقِ

٤- وَأَرسَلوا فِتيَةً مِن خَيرِهِم حَسَبًا ... لِيُسنِدوا في ضَريح التُّربِ أَطبَاقي

٥- هَوّن عَلَيكَ وَلا تَولَع بِإِشفاق ... فَإِنَّما مالُنا لِلوارِثِ الباقي

٦- كَأَنَّني قَد رَماني الدَّهرُ عَن عُرُضٍ ... بِنافِذاتٍ بِلا ريشٍ وَأَفواقِ[2]

---

(١) المفضليّات، المفضَّل الضبيّ، تح: عمر الفاروق الطبّاع، دار الأرقم، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٢١.

(٢) المفضليّات، المفضّل الضّبي، تح: أحمد شاكر، عبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السّادسة، ص٣٠٠.

الشرح:

١- هل يستطيع أحدٌ أن يحميَ الرجلَ من مصائب الدهر؟ أم هل يستطيع أحدٌ أن يرقيَ من حضره الموت؟ لا! لا أحدَ يستطيع.

٢- لقد مشّطوا شعري ليس لأنّني أشعث، وألبسوني ثيابًا جديدة.

٣- ورفعوني على أعناقهم وقالوا فقدنا رجلًا عزيزًا، ولفوني بالكفن كأنني العمامة التي يلعب بها الصبيان.

٤- وأرسلُوا فتيةً من أكابر القوم، ليضعوني ومفاصلَ عظامي في القبر.

٥- رويدك، لا تلزم الخوفَ والهلعَ، فإنمّا مالنا لله الوارث الباقي.

٦- كأنني قد رماني الدّهر بجانبِي، بسهام نافذة لكنّها بلا ريشٍ ولا وترٍ.

* * *

اعمد إلى الحق

قال ذي الإصبع العدوانيّ من البسيط:

اعمدْ إلى الحقّ فيما أنتَ فاعلُهُ   إن التخلّق يأتي دونَهُ الخُلُقُ[1]

اقصد الحقَّ فيما تفعلُه، إنَّ التخلّقَ يأتي بعدَهُ الخُلُقُ.

* * *

وصايا ذي الإصبع العدواني

قال ذو الإصبع العدواني من مجزوء الكامل:

١- أأسيدُ إنْ مالًا ملكـ   ـتَ فسِر به سيرًا جميلا

٢- آخ الكرامَ إنْ استطعـ   ـتَ إلى إخائهمُ سبيلا

٣- واشربْ بكأسهمُ وإنْ   شربوا به السُّمَّ الثَّميلا

(١) ديوان ذي الأَصبع العدوانيّ، تح: عبد الوهاب العدوانيّ، محمد الدليميّ، مطبعة الجمهوريّة، الموصل، ١٩٧٣م، ص٦٨.

٤- أهـــنْ اللئـــامَ ولا تكـــنْ لإخـــائهمْ جمـــلًا ذلـــولا
٥- إنَّ الكـــــرامَ إذا تـــــوا خـــيهمْ وجـــدتَ لهـــم فُـــضولا
٦- ودع الّـــذي يِعـــدُ العـــشيـــرةَ أنْ يـــسيلَ ولـــنْ يـــسيلا
٧- أَبنـــــيّ إنّ المـــــالَ لا يبكـــيْ إذا فقـــدَ البخـــيلا
٨- أأســـيدُ إنْ أزمعـــتَ مـــن بلـــدٍ إلـــى بلـــدٍ رحـــيلا
٩- فـــاحفظْ وإنْ شـــحطَ المـــزارُ أخـــا أخيـــك أو الـــزَّميلا
١٠- واركـــبْ بنفـــسكَ إنْ هممـــتَ بهـــا الحُزونـــةَ والـــسُّهولا
١١- وصـــلِ الكـــرامَ وكـــنْ لمـــنْ ترجـــوْ مودَّتـــه وَصـــولا
١٢- ودع التَّـــواني فـــي الأمـــورِ وكـــن لهـــا سلـــسًا ذلـــولا
١٣- وابـــسطْ يمينـــكَ بالنَّـــدى وامـــددْ لهـــا باعًـــا طـــويلا
١٤- وابـــسطْ يـــديكَ بمـــا ملكـــتَ وشـــيّدِ الحـــسبَ الأثـــيلا
١٥- واعـــزمْ إذا حاولـــتَ أمـــرًا يَفـــرجُ الهـــمّ الـــدَّخيلا
١٦- وابـــذلْ لـــضيفكَ ذاتَ رحـــلكَ مُكرمًـــا حتَّـــى يـــزولا
١٧- واحلـــلْ علـــى الأيفـــاعِ للـــعافينَ واجتنـــبِ المـــسِيلا
١٨- وإذا القـــرومُ تخـــاطرتْ يومًـــا وأرعـــدتِ الخَـــصيلا
١٩- فاهـــصِرْ كهـــصرِ اللَّيـــثِ خـــضّبَ مـــن فريـــسته التّلـــيلا
٢٠- وانـــزلْ إلـــى الهيجَـــا إذا أبطالُهـــا كرهـــوا النُّـــزولا[1]

نأتي إلى شرح القصيدة:

١- يخاطب الشاعر أسيدًا ويقول له: إنْ ملكت مالًا، فلتكن لك سيرةٌ حسنةٌ بالكرم والعطاء.

٢- وكن أخًا للكرام، إنْ استطعت إلى ذلك طريقًا.

---

(١) ديوان ذي الأًصبع العدواني، ص٧٢ - ٧٣ - ٧٤.

٣- واشرب كأسهم كلّه، وإن شربوا به القليلَ من السُّمّ.

٤- أَهِنْ من طبعهُ الُّلؤمَ، ولا تذلَّ له.

٥- إذا آخيت الكرامَ انتفعت من مالهم وعطائهم.

٦- واترك الذي يعد العشيرة بالكرم ثمّ لا يكون كريمًا.

٧- إنَّ المال لا يحزن إذا ذهب البخيل عنه، وذلك لشدة ملازمة البخيل للمال ظنّ ذلك.

٨-٩- يا أسيدُ إن أردت السفر من بلدٍ إلى بلد، فاحفظ وإن بَعُد البلد وُدَّ أقربائك وأصدقائك.

١٠- وامشِ في مناكب الأرض، وتحمّل مشّاقَ الضّرب فيها، واصعد فيها كلَّ مشرفٍ من الأرض، وانزل كلَّ سهلٍ.

١١- أعطَ الكرامَ حقّهم من الودّ والبِرّ، وإذا أردت وُدَّ أحدٍ والقربَ منه، فزُره وأعطه حقَّه.

١٢- دع التباطؤ في الأمور، وكن لها منقادًا.

١٣- أعط النَّاسَ عطاءً واسعًا جزيلًا.

١٤- وكن كريمًا فبكرمك تستطيع بناءَ المجدِ الثَّابتِ الأصيل.

١٥- فلتكن لك نيةٌ حاسمةٌ في فعل الأمور، فإنَّ ذلك يُذهبُ الهموم المستترة المكبوتة.

١٦- أنزلْ ضيفكَ في أعزّ مكان في بيتك، مُكرمًا إياه، حتّى ينصرف.

١٧- اصعد التّلال المرتفعة حتّى يراك الطارقون بابك ولا تنزل الوديان المنخفضة فتختبئ منهم.

١٨- وإذا استعدَّ السَّادة الأمجاد للحرب.

١٩- فَخُذ برأس فريستك واكسر عنقها كما يفعل الأسد الذي ضرَّج عنقَ فريسته بالدمّ.

٢٠- وانزل إلى الحرب، إذا خاف الأبطال النزول، فكيف بالجبناء؟ أي انزل إلى الحرب إذا استعرت نارُها.

٢١- وإذا دعيت إلى الأمر الجلل، فكن لعظيمه حاملًا.

* * *

إِنَّ الَّذي يَقبِضُ الدُنيا وَيَبسطُها

وقال ذو الأصبع العدواني من البسيط:

إِنَّ الَّـــذي يَقــبِضُ الـــدُّنيا وَيَبــسُطُها إِن كـانَ أَغنـاكَ عَنّـي سَـوفَ يُغنينـي[1]

كُــلُّ اِمــرِئٍ صــائِرٌ يَومًــا لِــشيمَتِهِ وَإِن تَخَلَّــقَ أَخلاقًــا إِلــى حــينِ[2]

- إنَّ الله القابض الباسط، سيغنيني عنك كما أغناك عني.

- كل امرئٍ ستبدو أخلاقه الحقيقية، مهما تخلَّق بغيرها.

* * *

ما هَكَذا تورَدُ الإِبِل

قال مالك بن زيد مناة من الرجَز:

أَورَدَهــا سَــعدٌ وَسَــعدٌ مُــشتَمِلْ مــا هَكَــذا يــا سَــعدُ تــورَدُ الإِبِــل[3]

أحضرَ سعد الإبلَ إلى مكان الشُّرب وهو متلفّف بردائه، لكن ليس هكذا تُوردُ الإبل، فمن أراد أمرًا فلا بدُّ له من تحمُّل مشاقّه وتكاليفه وعقابيله.

* * *

(١) ديوان ذي الأَصبع العدوانيّ، ص٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٤.

(٣) المستقصى من أمثال العرب، أبو القاسم الزمخشريّ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، الطّبعة الأولى، ١٩٦٢م، ص٢.

وَما يَدري الفَقيرُ مَتى غِناهُ؟

ويقول أُحيحة بن الجلَّاح من الوافر:

وَما يَدري الفَقيرُ مَتى غِناهُ؟   وَما يَدري الغَنِيُّ مَتى يُعيلُ؟

وَما تَدري وَإِن أَجمَعتَ أَمرًا   بِأَيِّ الأَرضِ يُدرِكُكَ المَقيلُ[1]

تَفَهَّم أَيُّها الرَجُلُ الجَهولُ   وَلا يَذهَب بِكَ الرَأيُ الوَبيلُ

فَإِنّ الجَهلَ مَحمِلُهُ خَفيفٌ   وَإِنَّ الحِلمَ مَحمِلُهُ ثَقيلُ[2]

- ما يعلم الفقير متى يصير غنيًّا، ولا يعلم الغنيّ متى يفتقر.
- وما تعلم أيّها الإنسان، إذا قررت أن تفعلَ أمرًا بأيِّ أرضٍ ستنام، وقريبٌ منه قوله تعالى: .[3]
- كن عاقًلا لبيبًا حصيفًا يا كثير الجهالة والسَّفه، ولا يأخذنّك الرأي الفاسد العاقبة.
- فإنَّ الجهالة والسَّفه والطَّيش أخلاقٌ سهلةٌ على النفس يستطيعها أي أحدٍ، بينما الحِلم صعبُ المراس لا يحسنه الرجل الذي اتبّع هواه وكان أمره فُرُطا، لذلك قال الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم: "ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ"[4].

* * *

بَلَوتُ الناسَ

وقال الأفوه الأوديّ من الوافر:

بَلَوتُ الناسَ قَرنًا بَعدَ قَرنٍ   فَلَم أَرَ غَيرَ خَلّابٍ وَقالِ

وَذُقتُ مَرارَةَ الأَشياءِ جَمعًا   فَما طَعمٌ أَمَرُّ مِنَ السُّؤالِ!

---

(١) ديوان أُحيحة بن الجلّاح، تح: نادي الطّائف الأدبيّ، ١٩٧٩م، ص٧٤ - ٧٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٨.

(٣) لقمان، الآية: ٣٤.

(٤) صحيح البخاري، ص١٥٢٩.

وَلَـم أَرَ فـي الخُطـوبِ أَشَـدَّ هَـولًا ... وَأَصـعَبَ مِـن مُعـاداةِ الرِّجـالِ[١]

- لقد اختبرت النَّاس وعرفتهم جيلًا بعد جيلٍ، فلم أر إلا المُخادع والمُعرِض الجافي.
- وذقت مرارةَ كلِّ الأشياء، فما شيءٌ أمرُّ من سؤال النَّاس.
- ولم أرَ في الأمور العظيمة الجسيمة أشدَّ فزعًا وخوفًا من عداوة الرِّجال الأبطال الشجعان.

* * *

كُلُّ شَيءٍ مَصيرُهُ لِلزَوالِ

وقال الحارث بن عبّاد من الخفيف:

كُـلُّ شَـيءٍ مَـصيرُهُ لِلـزَّوالِ ... غَيـرَ رَبّـي وَصـالِحِ الأَعمـالِ[٢]

كلُّ شيءٍ حتمًا سيزول إلا الله وصالح الأعمال، وفي هذا قال تعالى:

.[٣]

* * *

الهجرة

وقال الشَّنفرى من الطويل:

وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى ... وَفيهـا لِمَـن خـافَ القِلـى مُتَعَـزَّلُ

لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرِئٍ ... سَـرى راغِبًـا أَو راهِبًـا وَهـوَ يَعقِـلُ[٤]

---

(١) ديوان الأفوه الأوديّ، تح: محمد ألتونجي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص١٠٤.

(٢) ديوان الحارث بن عبّاد، تح: أنس عبد الهادي أبو الهلال، هيئة أبو ظبي للثّقافة والتّراث، الطّبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص١٩١.

(٣) الرّحمن، الآية: ٢٦ - ٢٧.

(٤) ديوان الشّنفرى، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطّبعة الثانية، ١٩٩٦م، ص٥٨ - ٥٩.

وفي الأرض مكان بعيدٌ عن الأذى، وفيها لمن خاف بُغضَ النَّاس مكانٌ منعزلٌ. يقسم الشاعر بعمر المخاطَب للتأكيد بأنَّ الأرض واسعةٌ لا ضيق فيها حتّى لو مشى فيها راغبًا لعطاء أو خائفًا، بشرط أن يكون معه عقلٌ حصيفٌ. وموضوع الهجرة مذكور في القرآن الكريم قال تعالى:

.[١]

* * *

حسنُ الجُسوم

قال مُويال بن جُهم المِذحجيّ من الطويل وكان قصيرًا:

وَلا خَيرَ في حُسنِ الجُسومِ وَطولِها إِذا لَم يَزِن حُسنَ الجُسومِ عُقولُ[٢]

لا خير في جمال الأجسام وطولها إذا لم يعادل هذا الجمال وهذا الطول، قدرَ العقول.

* * *

إِنّا نُنافِسُ في ظِلالٍ زائِلِ

وقال عبد الله بن ثعلبة اليشكريّ من الكامل:

فَلَعَلَّ ما أُدعى لِما أَنا فاعِلٌ وَلِمَ الحَياةُ إِذا اِمرُؤٌ لَم يَفعَلِ

وَالمَرءُ يَجذَلُ بَعدَهُ في مالِهِ مَن يَحتَويهِ بِمالِهِ لَم يَجذَلِ

فَابذُل أَخايِرَ ما حَوَيتَ فَإِنَّما يَبقى لَكَ الحَسَراتُ ما لَم تَبذُلِ

---

(١) النّساء، الآية: ٩٧.

(٢) حماسة الخالديّين، الخالديّان، تح: محمد علي دقّة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م، ص١٠٠.

وَاصرِف إلى سُبُلِ الحُقوقِ وُجوهُهُ تُحرِز بِهِ حَسَنَ الثَناءِ الأَفضَلِ
كَم مِن بِخَيلٍ لَو رَأى مَن بَعدَهُ جَذلانُ يُنفِقُ مالَهُ لَم يَبخَلِ
إِنّا نُنافِسُ في ظِلالٍ زائِلٍ فيهِ فَجائِعُ مِثلُ وَقعِ الجَندَلِ
كَم قَد رَأَينا قاهِرينَ أَعِزَّةً طَحَنَ الزَمانُ جُموعَهُم بِالكَلكَلِ[1]

- إنّ سُمعةَ الإنسان وثناءَ النَّاس عليه، هي نتيجةُ أفعاله، فما قيمة حياة الإنسان إذا لم يكن ذا فعلٍ مؤثرٍ وبصمةٍ في تاريخ الأمة.

- يفرح ورَثةُ الميّت بأموال ميّتهم ويتّمتعون بها، بينما الذي جمع المال لم يتمتّعْ بمالٍ.

- فأعطِ أيّها الإنسان، أفضلَ من جمعت من أموالٍ، فإنه سيبقى لك النَّدم إن لم تعطِ.

- اصرف أموالك في طُرُق الحقوق من ديَّات وقِرى الضيوف، تجدْ بذلك ثناءَ النَّاس الحسن عليك.

- كم من بخيلٍ لو رأى ورَثتَه من بعده ينفقون ماله، لم يبخل به.

- إننا نتنافس في ظلِ زائلٍ وهو الدُّنيا، وتقع مصائب هذه الدُّنيا علينا مثلَ وقوع الحجارة.

- كم قد رأينا ملوكًا يخضع لهم النَّاسُ ويذّلوا لهم، قد طحن الزَّمان جموعهم بعِظام صدره.

* * *

المال والعقل

وقال الأعلم بن ضُبيعة من الطويل:

ومن يفتقرْ في قومهِ يَحمدُ الغِنى وإن كان فيهم ماجد العمِّ مخولا
ويزري بعقل المرءِ قلةُ مالهِ وإنْ كانَ أقوى منِ رجالٍ وأحيلا
فإنَّ الفتى ذا الحزمِ رامٍ بنفسهِ جواشنَ هذا اللّيلِ كي يتمولا[2]

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص٨٥.

(٢) ديوان بني بكر، تح: عبد العزيز نبويّ، دار الزّهراء، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٤٧٥.

- إنَّ الذي يفتقر في قومه يثني على الغنى، ولو كان ذا حسبٍ مجيد، رفيع العمّ، وكريمَ الخال.

- إنَّ قلةَ المال، تُنقص من قدر عقل الإنسان، وإن كان قويًا عاقلًا محتالًا أي صاحبَ عقلٍ مُدبِّر دقيق.

- فإنَّ الفتى صاحبَ القرار، يرمي نفسه في قِطع الليل أي في المخاطر كي يصبَح غنيًا.

* * *

الشيب

قال بِشرُ بن عمروٍ بن مَرثَد من الطويل:

أماويَّ ليتَ الشيبَ في الرأس لا يرى وليت الشباب رد طورين للفتى

كأن شبابي ثوبًا لبستُه فأبتليه وكل شيء إلى بلى[1]

* * *

الزِّيارة

وقال زهير بن جناب الكلبيّ من الوافر:

وَزُر غِبًّا إذا أحبَبتَ خِلّا فَتَحظى بِالوِدادِ مَعَ اتِّصالِ[2]

زرّ أحبابكَ بشكل متقطّعٍ، فتحصل على الحُبّ والوصل.

* * *

وَكُلُّ بَيتٍ

وقال علقمة الفحل من البسيط:

وَكُلُّ بَيتٍ وَإِن طالَت إِقامَتُهُ عَلى دَعائِمِهِ لا بُدَّ مَهدومُ[3]

(١) ديوان بني بكر، تح: عبد العزيز نبويّ، دار الزّهراء، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٤٧٧

(٢) ديوان زهير بن جناب الكلبيّ، تح: محمد شفيق البيطار، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ص٩٤.

(٣) أشعار الشعراء الستّة الجاهليّين، الأعلم الشنتمريّ، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، الطّبعة الثالثة، ١٩٦٣م، ص١٥٥.

كلُّ بيتٍ وإنْ طال ثبوته، لا بُدَّ أنّه سيُهدم على أسسه.

* * *

محاسبة النفس

وقال الحُصين بن الحمام الفزاري من الطويل:

لَعَمـرُكَ مـا لامَ اِمـرَءًا مِثـلُ نَفـسِهِ   كَفى لِإِمرِئٍ - إِن زَلَّ - بِالنَّفسِ لائِما[1]

تَـأَخَّرتُ أَستَبقي الحَياةَ فَلَم أَجِد   لِنَفسي حَياةً مِثلَ أَن أَتَقَدَّما

فَلَستُ بِمُبتاعِ الحَياةِ بِسُبَّةٍ   وَلا مُبتَغٍ مِن رَهبَةِ المَوتِ سُلَّما[2]

- يحلف بعُمر المخاطَب وذلك للتوكيد، بأنّه لا أحدَ أفضل ممن يلوم الإنسان من نفسه، وكفى بنفس الإنسان لائمًا إن أخطأ.

- تأخّرتُ عن القتال، إبقاءً لحياتي، فلم أجد لنفسي حياةً كالتقدّم والشَّجاعة.

-"لا أشتري الحياةَ بما أُسبُّ عليه وأُعيَّر به، ولا أطلب النجاة من الموت، لأني أعلم أنَّ الموتَ لا بُدَّ منه، يعني مَن طلب النجاةَ من الموت احتمل الذُّلَّ، ومن علم أنّه ميّتٌ لا محالةَ لم يحتمل المذلَّةَ"[3].

* * *

لا بُدَّ من كَلِمِ

وقال الشاعر بلعاء بن قيس الكنانيّ من الطّويل:

إذا أنت حَرَّكت الوغَى وشهدتها   وافلتَّ من قتلٍ فلا بد من كَلِمِ[4]

---

(١) الحماسة، البحتريّ، ص٢٢٧.

(٢) التذكرة الحمدونيّة، ج٢، ص٤٠٠.

(٣) خزانة الأدب، عبد القادر البغداديّ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثّالثة، ١٩٩٦م، ج٧، ص٤٩٧.

(٤) الحماسة البصريّة، أبو الفرج بن الحسن البصريّ، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ج١، ص٦٣.

إذا أنت شهدت الحرب، وأفلتّ من القتل فلا بُدَّ من الجراح، ويعني لا بُدَّ من التّضحية من أجل الحصول على الأمور العظيمة، وفي هذا يقول المتنبي من الطويل:

تُريدينَ لُقيانَ المَعالي رَخيصَةً ... وَلا بُدَّ دونَ الشَهدِ مِن إِبَرِ النَّحلِ[1]

* * *

الظنّ

وقال بلعاء بن قيس الكنانيّ من الطويل:

وأبغي صوابَ الظّنّ أعلم أنّه ... إذا طاش ظنُّ المرء طاشت مقادرهْ

وقد يكره الإنسانُ ما هو رشدُه ... وتُلقى على غير الصَّوابِ مراشدهْ[2]

- إنني أريدُ ما أعتقد أنّه صحيح وحسَن من الظنّ، لأنَّه إذا انحرف ظنُّ المرء عن جادة الصَّواب، فقد انحرف عن الحكمة والتعقّل، وفي الظنّ قال تعالى:

.[3]

- قد يكره الإنسان ما هو حقٌّ وهدى ومستقيم، وقد يصبح مريدًا وقاصدًا للأشياء الخاطئة الباطلة.

* * *

وَأَيّامٌ كَأَيّامِ

قال حصن الفزاري من البسيط:

وَالدَهرُ آخِرُهُ شِبهٌ لِأَوَّلِهِ ... قَومٌ كَقَومٍ وَأَيّامٌ كَأَيّامِ

---

(١) ديوان المتنبي، ص٥١٨.

(٢) التذكرة السعديّة، محمد العبيدي، تح: عبد الله الجبوريّ، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٧٢م، ص٣٧٩.

(٣) يونس، الآية: ٣٦.

فــابنُوا ولا تهــدِموا فالنَّــاس كلُّهــمُ   مــن بــين بــانٍ إلــى العَليـا وهــدَّام(١)

- إنَّ الدهر يُشبه بعضَه، فآخره يُشبه أولَّه، والنَّاس يتشابهون والأيام كذلك، فالتاريخ يكرر نفسه.

- إنَّ النَّاسَ ينقسمون إلى قسمين، قسمٌ يبني وقسمٌ يهدِم، فكونوا من البنَّائين، ولا تكونوا من الهدَّامين.

* * *

التطيّر والتشاؤم

وقال المرقَّش الأكبر من مجزوء الكامل:

لا يَمْنَعَنَّــك مِــنْ بُغــاء   الخيــر تَعقــادُ التمــائمْ

ولا التَّــشاؤمُ بالعطــاسِ   ولا التَّــيمُّن بالمقاســمْ

وكــذاكَ لا خيــرٌ ولا   شــرٌّ علــى أحــدٍ بــدائِمْ

قــد خُــطّ ذلــك فــي الزُّبــو   رِ الأوَّلِيَّــاتِ القَــدائِمْ(٢)

- لا يمنعك من فعل الخير وطلبه، التَّمائم والعِوَذ المعقودة المعلّقة على الأعناق.

- لا تتشاءم من العُطاس وتُعرض عن السَّفر، ولا تتفاءل عند توزيع الأنصبة من الغنائم.

- وكذلك لا الخير ولا الشرّ على أحدٍ بدائمٍ، وهنالك قصة طريفة حول هذا المعنى، فقد طلب أحدُ الملوك من حكيمٍ أن ينقُش له عبارةً على خاتمه تجعله إذا

(١) أمالي المرتضى، الشّريف المرتضى، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م، ص٥٣١.

(٢) ديوان المرقَّشين، تح: كارين صادر، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٧٥ - ٧٦.

قرأها وهو حزين يسعد، وإذا قرأها وهو سعيد يحزن، فنقش له عبارة «هذا الوقت سيمضي»!

- هذه الوصايا هكذا كُتبت في الكتب القديمة.

* * *

الأخوّة

قال المرقّش الأصغر من الطويل:

أَفـاطِمَ إنَّ الحُـبَّ يَعْفُـو عـن القِلـى ويُجْشِمُ ذا العِرْضِ الكريم المَجاشِما

فمـن يَلْـقَ خَيْـرًا يَحْمَـدِ النَّـاسَ أَمْـرَهُ ومـن يَغْـوِ لا يَعْـدَمْ على الغَـيّ لائِما

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ المَـرْءَ يَجْـذِمُ[1] كفَّـهُ ويَجْشَمُ مِنْ لَوْمِ الصَّدِيقِ المَجاشِما

أخـوك الـذي إنْ أَحْوَجَتْـكَ مُلِمَّـةٌ مِنَ الدَّهْرِ لـم يَبْرَحْ لها الدَّهْر واجما

ولـيس أَخـوك بالـذي إنْ تَـشَعَّبَتْ عليـكَ أمـورٌ ظـلّ يلحـاكَ دائمـا[2]

- يا فاطمةُ إنَّ الحُبَّ يتغلّب ويزيد على البُغض، ويجعل صاحبَ العِرض العزيز يتعرَّض للمشّاق.

- فمن يفعلِ الخيرَ يُثني عليه النَّاس، ومن يغوِ ويضّل فإنَّه لا يعدَم اللائمين.

- ألم تر أنَّ المرء يكلّف نفسَه الأمور الجسيمة، حتّى لا يتعرّض للوم صديقه.

- أخوك هو الّذي إن أصابتك مصيبةٌ، يبقى حزينًا ساكتًا من الهمّ، كأنّه هو الذي أصابته المصيبة.

- وليس أخوك الذي إن أصابتك مصيبةٌ ظل يلومكَ دائمًا.

* * *

(١) يجذم: يقطع.

(٢) ديوان المرقَّشين، ص٩٩ - ١٠٠.

الأقاربُ والأباعد

وَقَالَ هُبَيْرَةُ بْنُ ظَالِمٍ الْمُرِّيّ من الوافر:

جَارَكَ يَا مَضَاءُ فَإِنَّ جَارِي   حَرامٌ عِرضهُ حَتَّى يَبِينَا
وَلا تُوهِي شِمَالَكَ لِلأَعَادِي   فَقَدْ تَصِلُ الشِّمَالُ لَكَ الْيَمِينَا
وَلا تَزْجُرْ كِلابَكَ وَاصْطَنِعْهَا   لِتُطْعِمَهَا كِلابَ الأَبْعَدِينَا
فَإِنَّ الثَّوْبَ يُلْبَسُ وَهْوَ يُؤْذِي   وَلَوْ يُلْقَى لَصَادَفَ لابِسِينَا[1]

- الزم جارَك يا مضاءُ فإنَّ جاري محرّمٌ عرضه عليّ حتى ينتقل.
- ولا تُضعف يدك الشِّمال للأعداء، فيتمكّن الأعداء من الشِّمال واليمين.
- لا تنتهر كلابك ولا تطردها، بل رَبِّها، لتأكلَ كلابَ الأعداء.
- قد يُلبَس الثوبُ وهو خشنُ الملمس، لذلك لا تبغي المثاليّةَ في كلّ شيءٍ.

* * *

سُنن الحياة

وقال الجرّاح بن عمرو الهمدانيّ من الطّويل:

أَرى الحِرصَ يَدعوني فَأَتبَعُ صَوتَهُ   وَيَزجُرُني اليَأسُ الخَفِيُّ مُداخِلُه
فَلا الحِرصُ يُغنيني وَلا اليَأسُ مانِعي   نَصيبي مِنَ الشَيءِ الَّذي أَنا نائِلُه
يُرَجّونَ أَيّامَ السَّلامَةِ وَالغِنى   وَتَغتالُهُم دونَ الرَّجاءِ غَوائِلُه
وَبالِغُ أَمرٍ كانَ يَأمَلُ دونَهُ   وَمُختَلِجٍ مِن دونِ ما كانَ يامُلُه[2]

- أرى البُخلَ يدعوني فألحقُ صوته، ويطردني اليأس.

---

(١) الحماسة للبحتريّ، ص٤٨٤.

(٢) شعر همدان وأخبارها، تح: د. حسين عيسى أبو ياسين، دار العلوم، الرّياض، الطّبعة الأولى، ص١٩٨٣م، ص٢٤٥.

- فلا يُغنيني البخلُ، ولا اليأس ولا القناعة يمنعانني نصيبي من الأشياء التي سأنالها حتمًا.

- إنَّ النَّاس يأملون ويرجون السَّلامة والغنى، ولكنَّ المنايا لأمنياتهم ورجائهم بالمرصاد.

- رُبَّ واصلٍ لأمر كان يأمل الوصول لِما هو أقلّ منه، وربّ ممنوعٍ من الوصول إلى مُنيتِه وآمالِه.

* * *

الصّدق

يقول الحارث الحضرميّ من مجزوء الطّويل:

أَلَم تَرَ أَنَّ الصِدقَ في القَولِ واضِحٌ ... أَما إِنَّ خَيرَ القَولِ في النَّاسِ صادِقُهْ

وَما مِن فَتىً في النَّاسِ إِلّا يَسوقُهُ ... إِلى المَوتِ يَومٌ لا مَحالَةَ سائِقُهْ

لَهُ أَجَلٌ ساعٍ لَهُ لا مُؤَخَّرًا ... إِذا جاءَ مَحتومًا وَلا هُوَ سابِقُهْ

وَكُلُّ فَتىً يَومًا وَإِن ضَنَّ رَغبَةً ... بِصاحِبِهِ لا بُدَّ يَومًا مُفارِقُهْ[1]

- إنّ الصّدق في القول يبيّن الحقيقة، وخير أقوال النَّاس هو الصّدق.

- كل فتىً سيسوقه إلى الموتِ لا محالةَ سائقٌ.

- إنَّ هذا الأجل مُحتَّمُ الحصول، قال تعالى:

.[2]

- وكلُّ فتى سيفارُق صاحبَه، وإن كان حريصًا عليه أشدَّ الحرص.

* * *

(١) منتهى الطّلب من أشعار العرب، ج٨، ص٣٤٣ - ٣٤٤.

(٢) الأعراف، الآية: ٣٤.

عار الذنوب

وقال مغلس بن لقيط من الطّويل شطر بيت:

ويُنجِيكَ مِن عَارِ الذُّنُوبِ اجتِنَابُهَا[1]

إنَّ الأفضلَ من الوقوع في الذنوب والأسلمَ للعاقبة هو اجتنابها.

* * *

القناعة

وقال الأضبط السعديّ من المنسرح:

وَيَقطَــعُ الثَّــوبَ غَيــرُ لابِسِهِ وَيَلبِسُ الثَّوبَ غَيرُ مَن قَطَعَه

فَاقبَلْ مِنَ الدَّهرِ ما أَتاكَ بِهِ مَن قَرَّ عَينًا بِعَيشِهِ نَفَعَه

وَصِلْ حِبالَ البَعيدِ إن وَصَلَ الـ ـحَبلَ وَاقصِ القَريبَ إن قَطَعَه

وَلا تُهينَ الفَقيرَ عَلَّكَ أَن تَركَعَ يَومًا وَالدَّهرُ قَد رَفَعَه[2]

- إنَّ المتأمل في حال الدُّنيا يجد أنّها لا تدوم لأحدٍ.
- يجب على الإنسان القَبول بما يقرره الدهر، فمن رضي بعيشه نفعه ذلك.
- صل مَن وصلك واقطع من قطعك، دون أن تبالي أكان هذا الشّخصُ قريبًا أو بعيدًا.
- لا تُهن الفقير فلربما أنْ تفتقرَ مثله ويعزَّ هو.

* * *

ثَوبٌ مُستَعارُ

يقول الشاعر الجاهلي الأفوه الأودي من الرمَل:

---

(١) حلية المحاضرة، الحاتميّ، تح: د. جعفر الكتّاني، دار الرشيد، العراق، ١٩٧٩م، ج١، ص٢٦٥.

(٢) الشبكة العنكبوتية.

إنَّمــــا نِعمَـــــةُ قَـــــومٍ مُتعَـــــةٌ وَحَيــــاةُ المَــــرءِ ثَــــوبٌ مُــــستَعارُ[١]

ليس للإنسان من النَّعيم إلا ما يُتتَفَع به، وحياة المرء ثوبٌ مستعارٌ ثمّ يُخلَع هذا الثوب.

* * *

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضى لا سَراةَ لَهُم

وقال الأفوه الأوديّ من البسيط:

١- وَالبَيــتُ لا يُبتَنــى إِلّا لَــهُ عَمَــدٌ وَلا عِمــادَ إِذا لَــم تُــرسَ أَوتــادُ

٢- فَــإِن تَجَمَّــعَ أَوتــادٌ وَأَعمِــدَةٌ وَســاكِنٌ بَلَغــوا الأَمــرَ الَّــذي كــادوا

٣- وَإِن تَجَمَّــعَ أَقــوامٌ ذَوو حَــسَبٍ اِصــطادَ أَمــرَهُمُ بِالرُّشــدِ مُــصطادُ

٤- لا يَصلُحُ النّاسُ فَوضى لا سَراةَ لَهُم وَلا سَــراةَ إِذا جُهّــالُهُم ســادوا

٥- تُلفى الأُمورُ بِأَهلِ الرُّشدِ ما صَلَحَت فَــإِن تَوَلَّــوا فَبِالأَشــرارِ تَنقــادُ

٦- إِذا تَــوَلّى سَــراةُ القَــومِ أَمــرَهُمُ نَمــا عَلــى ذاكَ أَمــرُ القَــومِ فَــازدادوا

٧- أَمارَةُ الغَيِّ أَن تَلقى الجَميعَ لَدى الـ إِبــرامِ لِلأَمــرِ وَالأَذنــابُ أَكتــادُ

٨- كَيفَ الرَّشادُ إِذا ما كُنتَ في نَفَرٍ لَهُــم عَــنِ الرُّشــدِ أَغــلالٌ وَأَقيــادُ

٩- أَعطَــوا غُــواتَهُمُ جَهــلاً مَقــادَتَهُم فَكُلُّهُــم فــي حِبــالِ الغَــيِّ مُنقــادُ

١٠- حانَ الرَّحيلُ إِلى قَومٍ وَإِن بَعُدوا فــيهِم صَــلاحٌ لِمُرتــادٍ وَإِرشــادُ

١١- فَسَوفَ أَجعَلُ بُعدَ الأَرضِ دونَكُمُ وَإِن دَنَــت رَحِــمٌ مِــنكُم وَمــيلادُ

١٢- إِنَّ النَجاةَ إِذا مـا كُنتَ ذا بَصَرٍ مِــن أَجَّــةِ الغَــيِّ إِبعــادٌ فَإِبعــادُ

١٣- وَالخَيرُ تَزدادُ مِنهُ ما لَقيتَ بِهِ وَالــشَّرُّ يَكفيــكَ مِنــهُ قَــلَّ مــا زادُ[٢]

والآن نأتي إلى شرح الأبيات:

---

(١) ديوان الأفوه الأوديّ، ص٧٣.

(٢) ديوان الأفوه الأودي، ص٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨.

١- لا قيام للبيت والخيمة إلا على العماد الذي يوضع وسطهما، ولا فائدة ولا قيام للعماد إذا لم تدق الأوتاد في الأرض لتثبيت الخيمة.

٢- فإنْ تجمَّع الرِّجال قويّهُم وضعيفهم وكبيرهم وصغيرهم على رأيٍ واحد، فإنَّهم يبلغون ما يصبون إليه من النَّصرِ والظَّفر.

٣- وإنْ تجمَّع النَّاس من ذوي الحسب والنسب على أمرٍ ورأيٍ، فإنَّهم يستطيعون تحقيق ما يرنون إليه من المجد.

٤- لا يصلح النَّاس بلا قادة يسوسونهم بالرُّشد والحكمة، ولا مجدَ لأشرافهم إذا تسيّد الجهال.

٥- تكون الأمور سلسةً سهلةً إذا كان لها أهل الرُّشد، فإن ذهبوا فإنَّ الأمور تنقاد بالأشرار، وقريب منه قول رئيس وزراء تركيا الأسبق نجم الدين أربكان رحمه الله، "إنَّ المسلمين الذين لا يهتمون بالسياسة، فسيحكمهم سياسيّون لا يهتمون بالمسلمين!".

٦- إذا تولّى أشراف القوم وأماجدهم وفضلاءهم زمام القيادة، فإنَّ ذلك يزيد في رشد القوم وفي مجدهم.

٧- علامة الضَّلال أن يدلي الجميعُ برأيه من حكماءَ وسفهاءَ ومن أشراف ومن سِفْلةٍ أذناب، فإنَّ هذا يؤدي إلى اتخاذ القرارات الخاطئة.

٨- كيف حصول الرَّشاد في القبيلة إذا كان صلحاؤهم ومصلحوهم ممنوعون من النَّصيحة وإبداء الرَّأي السديد.

٩- لقد أعطى الضّالّون سفهاءَهم زمام أمورهم عن جهلٍ منهم، فأصبح الجميع منقادين إلى الضّلالة.

١٠- أمَّا والأمر كذلك من تحكّم السُّفهاء على الحكماء، فما لي إلا الرحيل إلى قومٍ صالحين أنزل عندهم ويكون أمرهم هدايةً وصوابًا.

١١- فسوف أبتعد عنكم يا قومي لأنكم لم تستمعوا لنصائحي، فسأبتعد عنكم وأهاجر حتى لو كنتم من أرحامي وأقاربي.

١٢- إذا كنتَ حكيمًا ذا بصيرةٍ ثاقبةٍ وتطلب النجاةَ من اشتداد الضَّلال، فالابتعاد عن مصدر الضّلال والجهل هو السبيل.

١٣- ازدد من الخير ما وجدته ولقيته، ويكفيك من الشرِّ قليلُه.

* * *

اللوم

وقال الأفوه الأودي من أحذّ الكامل:

إِنَّ المَلامَـــــةَ لا تَـــــزالُ بِـــــلا عُـــــذرٍ أَمـــــامَ تَفَهُّـــــمِ العُـــــذرِ

لا جدوى من إلقاء اللوم بين الناس وتلاومهم بعضهم ببعض، لأن اللوم وإن كان له سببٌ فلا ضرورةَ له.

* * *

السُّعود والنُّحوس

وقال الأفوه الأودي من السريع:

وَالمَـــرءُ مـــا تُـــصلِح لَـــهُ لَيلَـــةٌ بِالـــسَّعدِ تُفـــسِدُهُ ليـــالي النُّحـــوس

وَالخَيـــرُ لا يَـــأتي اِبتِغـــاءٌ بِـــهِ وَالـــشَّرُّ لا يُفنيـــهِ ضَـــرحُ الـــشَّموس[1]

- إذا صلحت للمرء ليلةٌ، فستأتيه أبراج النَّحس بالأيام السّيئة، وهذا قول باطل في الإسلام.

- الضَّرح هو الدَّفْعُ، والشَّموسُ من الدَّواب هو صعب الانقياد، والمعنى: أنَّ الخيرَ الذي يحلُّ لا يأتي حبًّا بنا، والشرَّ لا يدفعه عنا أحدٌ.

* * *

(١) ديوان الأفوه الأودي، ص٨٧.

الأصحاب يدفعون الضيمَ

وقال الأفوه الأودي من الوافر:

إِذا مـــا الـــدَهرُ أَبعَـــدَ أَو تَقَـــضّى رِجـــالَ المَـــرءِ أَوشَـــكَ أَن يُـــضاما

إذا الدهر أبعدَ أصحابَ المرء الذين عليهم المعتَمَد، أو أماتهم، فإنَّ المرء من الذُّل والضَّيم قريبٌ.

طبائعُ النِّساء

قال علقمةُ بن عبدة الفحل من الطويل:

فَـــإِن تَـــسأَلوني بِالنِـــساءِ فَـــإِنَّني بَـــصيرٌ بِـــأَدواءِ النِـــساءِ طَبيـــبُ

إِذا شـــابَ رَأسُ المَـــرءِ أَو قَـــلَّ مالُـــهُ فَلَـــيسَ لَـــهُ مِـــن وُدِّهِـــنَّ نَـــصيبُ

يُـــرِدنَ ثَـــراءَ المـــالِ حَيـــثُ عَلِمنَـــهُ وَشَـــرخُ الـــشَبابِ عِنـــدَهُنَّ عَجيـــبُ[1]

- يقول إنْ تسألوني عن النساء والباء في البيت تعني (عن)، فإنّني بصيرٌ بأمراض النساء وعليمٌ بها.

- إذا هرِمَ المرءُ أو افتقَرَ، فلا يرجُوَنَّ وُدَّ النساء، ويشبه هذا البيتُ قولَ امرئ القيس:

أَرَاهُـــنَّ لا يُحبِـــبنَ مَـــن قـــلَّ مالُـــه ولا مَـــن رأيـــنَ الـــشَّيبَ فيـــه وقوَّســـا[2]

- فالنِّساء يطلبن ثراءَ المال حيث وجدنه.

* * *

(١) شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، الأعلم الشنتمري، د. حنّا نصر الحتّي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص٢٤ - ٢٥.

(٢) ديوان امرؤ القيس، تح: مصطفى عبد الشافي، ص٨٦.

طلب الرّزق

وقال عروة بن الورد من الطويل:

إِذا المَرءُ لَم يَطلُب مَعاشًا لِنَفسِهِ شَكا الفَقرَ أَو لامَ الصَّديقَ فَأَكثَرا

وَصارَ عَلى الأَدنَينَ كَلًّا وَأَوشَكَت صِلاتُ ذَوي القُربى لَهُ أَن تَنَكَّرا

وَما طالِبُ الحاجاتِ مِن كُلِّ وِجهَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلّا مَن أَجَدَّ وَشَمَّرا

فَسِر في بِلادِ اللَّهِ وَالتَمِسِ الغِنى تَعِش ذا يَسارٍ أَو تَموتَ فَتُعذَرا[1]

- إذا المرء لم يطلب مالًا يعيش به ويقتات من خلاله، فإنَّه سيتعرّض للفقر، أو يُكثر من لوم الأصدقاء لأنّهم لا يعطونه الأُعطيات.

- وإذا لم يطلب الرّزق، فإنّه يصير ثقيلًا عالةً على أقربائه، وأوشك أقرباؤه أن ينفروا منه ويقطعوا رحمه.

- ليس الطّالب الحقيقيّ للرزق إلّا من جدّ في طلبه وشمّر عن ساعدَي الهمّة.

- فاضرب في الأرض وابذل الوسع في طلب الغنى، تصر غنيًّا أو تمت فيعذرك النَّاس.

تمَّ بمحض فضلٍ ومنٍّ من الله، فله الحمد والشكر.

(١) ديوان عروة بن الورد، تح: أسماء أبو بكر محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٨م، ص٧٧.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الحديث الشريف

٣. أشعار الشعراء الستة الجاهليين، الأعلم الشنتمري، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م.

٤. الأدب المفرد، البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

٥. البداية والنهاية، ابن كثير، ت: عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٦. التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، تح: إحسان عبّاس وبكر عبّاس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٧. التذكرة السعدية، محمد العبيدي، تح: عبد الله الجبوري، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٧٢م.

٨. التمثيل والمحاضرة، الثعالبي، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٩. التيجان في ملوك حِميَر، تح: مركز الدراسات للأبحاث اليمنية، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

١٠. الحكم العطائية، ابن عطاء الله السكندري، شرح: ابن عبَّاد النَّفَزي الرُّندي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١١. الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري، تح: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى.

١٢. الحماسة البصرية، أبو الفرج بن الحسن البصري، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت.

١٣. الحماسة، أبو عبادة البحتري، تح: محمد إبراهيم حور، أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠٠٧م.

١٤. الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر المستعصمي، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

١٥. السنن الكبرى، البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.

١٦. العقد الفريد، ابن عبد ربّه الأندلسيّ، تح: مفيد محمد قميحة، ج:١، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

١٧. العين، الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٨. الفاخر في الأمثال، المفضل بن سلمة، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

١٩. الفرج بعد الشدّة، القاضي التنوخي، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٠. المستقصى من أمثال العرب، أبو القاسم الزمخشري، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.

٢١. المفضليات، المفضَّل الضبي، تح: عمر الفاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٢٢. المفضليات، تح: أحمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة.

٢٣. الموشَّى، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٣م.

٢٤. أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م.

٢٥. بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، شرح: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م.

٢٦. تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٢٧. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، ج:١، دار الفكر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية.

٢٨. حلية المحاضرة، الحاتميّ، تح: د. جعفر الكتّاني، دار الرشيد، العراق، ١٩٧٩م.

٢٩. حماسة الخالديين، الخالديان، تح: محمد علي دقة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

٣٠. خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

٣١. ديوان أبو العتاهية، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٦م.

٣٢. ديوان أبو دواد الإيادي، تح: أنوار محمود الصالحي، د. أحمد هاشم السامرائي، دار العصماء، دمشق، الطبعة الأولى،٢٠١٠م.

٣٣. ديوان أحيحة بن الجلاح، تح: نادي الطائف الأدبي، ١٩٧٩م.

٣٤. ديوان الأفوه الأودي، تح: محمد ألتونجي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٣٥. ديوان الإمام الشافعي، إعداد: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة.

٣٦. ديوان الحارث بن عبّاد، تح: أنس عبد الهادي أبو الهلال، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٣٧. ديوان الحطيئة، شرح: ابن السكيت، دراسة: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٣٨. ديوان الشنفرى، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٣٩. ديوان المتلمّس الضبعي، تح: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، ١٩٧٠م.

٤٠. ديوان المرقَّشَين، تح: كارين صادر، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٤١. ديوان المسيَّب بن عَلَس، تح: د. عبد الرحمن محمد الوصيفي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٤٢. ديوان النابغة الجعدي، تح: د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٤٣. ديوان النابغة الذبياني، شرح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

٤٤. ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

٤٥. ديوان امرئ القيس، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م.

٤٦. ديوان أوس بن حَجَر، تح: د. محمد يوسف نجم، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٠م.

٤٧. ديوان بشر بن أبي خازم، شرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٤٨. ديوان بني بكر، تح: عبد العزيز نبوي، دار الزهراء، القاهرة، ١٩٨٩م.

٤٩. ديوان تأبط شرًا، تح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤م.

٥٠. ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت،١٩٨١م.

٥١. ديوان ذي الأًصبع العدواني، ت: عبد الوهاب العدواني، محمد الدليمي، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٧٣م.

٥٢. ديوان زهير بن أبي سُلمى، شرح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٥٣. ديوان زهير بن جناب الكلبيّ، تح: محمد شفيق البيطار، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

٥٤. ديوان طرفة بن العبد، ش: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.

٥٥. ديوان طرفة بن العبد، شرح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٥٦. ديوان عَبيد بن الأبرص، شرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٥٧. ديوان عدي بن زيد العبادي، تح: محمد جبَّار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥م.

٥٨. ديوان عروة بن الورد، تح: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٨م.

٥٩. ديوان كعب بن زهير، ت: علي فاعور، رقم الطبعة غير متوفر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٦٠. زهر الآداب، الحصري القيرواني، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م.

٦١. سنن أبي داود، أبو داود، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بلي، دار الرسالة العلمية، دمشق، ٢٠٠٩م.

٦٢. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٣٤م.

٦٣. شرح أدب الكاتب، الجواليقي، تح: د. طيبة حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٥م.

٦٤. شرح ديوان علقمةَ بن عبدة الفحل، الأعلم الشنتمري، د. حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٦٥. شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

٦٦. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، تح: مختار أحمد الندوي، مكتبة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٦٧. شعر عمرو بن معدي كري الزُّبيدي، جمع: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٦٨. شعر عمرو بن معدي كري الزُّبيدي، جمع: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٦٩. شعر هُدبة بن الخشرم العُذري، تح: د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٧٠. شعر همدان وأخبارها، تح: د. حسين عيسى أبو ياسين، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ص١٩٨٣م.

٧١. صحيح البخاري، البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٧٢. صحيح الترغيب والترهيب، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٣١١.

٧٣. صيد الخاطر، ابن الجوزي، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٧٤. كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدّمين والجاهلية والمخضرمين للخالديّين، تح: د. السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

٧٥. مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ابتسام الصفار، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨م.

٧٦. مسند أبي داود الطيالسيّ، تح: د. محمد عبد المحسن تركي، مركز البحوث والدارسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى.

٧٧. مسند الشهاب، أبو عبد الله حكمون القضاعي، تح: حمدي بن عبد المجيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٧٨. معجم من نُسبوا إلى أمهاتهم، د. فؤاد صالح السيّد، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٦م.

٧٩. منتهى الطلب من أشعار العرب، محمد بن المبارك، تح: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٨٠. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، بن المقري التلمساني، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٨١. وفيات الأعيان، ابن خُلَّكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م.

فهرس المحتويات